ق والقرآن المجيد

مجلة فصلية تعنى بالشأن القرآني
تصدر عن وحدة الإصدارات
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٧٧/ السنة الحادية عشر
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

يا نورَ المُستوحشينَ في الظّلمِ

مجلة فصلية تعنى بالشأن القرآني
تصدر عن وحدة الإصدارات/ قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٧٧ / السنة الحادي عشر / ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية
ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣
زورونا: www.aljawadain.org

١٦ توبة الأنبياء واستغفارهم
٢٦ فوائد العسل
٢٠ صاحبُ المُعينِ.. مَعينٌ لا يَنضب
٣٢ يوم الغدير صورة منعكسة عن يوم الميثاق
٢٢ الحرب تشريع قرآني
٣٤ قارئ بأنفاس ختامها مسك

المشرف العام
م. جلال علي محمد

رئيس التحرير
الشيخ عدي الكاظمي

سكرتير التحرير
سمير جميل الربيعي

التدقيق اللغوي
عامر عزيز الأنباري

محرر الأخبار
حسين علي السعدي

التصميم والإخراج الفني
زيد عبد الأمير موسى رزيج

من وهن المرض إلى قوة الثبات

إنّ للثبات على الحق، عوامل واستعدادات خاصة كـ (الإيمان، والصبر، وقوة العقيد، والثقة بالله) تساعد على صياغة القوة الممكنة للتوازن والصمود، ومن دونها يصعب تجاوز المواقف الحرجة، ويصعب المداومة والاستمرار في مواجهة الصراع مع القوى الظالمة، لا سيما في زمنٍ تضافرت فيه القوى الظلامية والاستكبارية، على طمس معالم الدين وتكبيل حركة الدعوة، والسيطرة على الأمة واحتوائها وتسييرها وفق دائرة مصالحها، وترسيخ نقاط الضعف فيها، لتحويلها إلى أمة داجنة بدون شخصية تعيش على هامش الحياة مسلوبة الإرادة.

إنّ قوى الشر تعمل ليل نهار في كيفية مصادرة كل وسائل القوة لدى الأمة، وإعدادها إعداداً تمتلك معه عقلية الهزيمة، والاستعداد الدائم للسقوط، تحت وطئة وتأثير الروحية المنهارة، فلم تجد تلك القوى منفذاً أوسع رحبة من منع اتصال الأمة برموزها، وفي نفس الوقت العمل بالتوازي على بناء حاجز نفسي يمنع أبناء الأمة من التوثب لتلك العوامل والاستعدادت المفضية للثبات على الحق ومناجزة الباطل.

إنّ من المهم جداً عند هذه القوى الشريرة منع بناء القاعدة القوية الثابتة المرتبطة بأصولها ورموزها، أملاً في رؤية مجتمع لا يؤمن بطاقاته وامكاناته، مغلوب على أمره، يؤمن بضعفه واستكانته، رغم كونه يمتلك جذوة من حياة مليئة بالهمم العالية والقيم والأخلاق الحميدة، والمُثل والرموز والشخصيات الفذة الصالحة التي أحدثت آثاراً خالدة في حياة الأمة، ألا يكفي أن في رصيد هذه الأمة رجلاً عليلاً مكبلاً بمرضه وأغلاله استطاع بمرضه وضعف بدنه، أن يقوّض كبرياء دولة ظالمة غاشمة، كانت تستبيح المقدسات وتقتل على الشبهات من دون تحفظ، جابهها بروحه المقدسة وبقوة وثبات لا يحاكيه ثبات، فكانت مواقفه تتسم بالقوة والصلابة والجرأة على الظالمين، وما كان مهادناً مسالماً حينما وقعت الأمة في خطر التضليل والاستباحة وتحريف الحقيقة، مستنفذاً كل الوسائل والإمكانات التي يمتلكها في سبيل حفظ قوام الأمة وكرامتها ومقدراتها. وما أعجزه المرض ولا قعدت به العلة عن ممارسة واجبه المقدس وتكليفه الشرعي.

وقف أمام سلطان متهور جائر بين يديه السيف والنطع، يسابق ملك الموت على قبض النفوس، رغم ذلك لم تأخذه هيبة السلطان ولم تخفه أجنحة الموت وهي ترفرف فوق رأسه، وهو يقارع رموز الضلالة بالكلمة الواعية والحجة البالغة، فأسقط عنه وعن حكومته ورق التوت وأبان عورته وعورتها واستباح هيبته وهيبتها.

فهل تعذّر بعصاه حين دعاه الموقف للثبات على قول الحق وبيان الحقيقة، وهل اختبأ وراء مرضه حين لم يجد ناصراً للحق غيره، كلا وألف كلا أن يقال إن الجبل تميله الرياح، أو أن تنال من شممه وعظمته معاول الشر والشيطان.

سكرتير التحرير

تكريم أساتذة وطلبة دورة مؤسسة البقيع الثقافية القرآنية

في رحاب الصحن الكاظمي الشريف

استضافت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، وفداً قرآنياً ضمَّ عدداً من أساتذة وطلبة وطالبات الدورة الصيفية التاسعة لتعليم القرآن الكريم وأحكامه، التي أقامتها مؤسسة البقيع الثقافية في محافظة بغداد/ قضاء المعامل.

حيث جرى إعداد برنامج خاص للوفد الضيف من قبل قسم العلاقات العامة في العتبة المقدسة، تضمن التشرف بزيارة الإمامين الكاظمين عليهما السلام المباركة، والاستماع إلى شرح موجز عن النشاطات القرآنية التي تقيمها الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، وتواصلها مع الحركة القرآنية في العراق لنشر رسالتها الإنسانية السامية، وحرصها الدائم على دعم المشاريع القرآنية، وتنمية المواهب الجديدة، وتشجيعها لكل شرائح المجتمع.

وجرى خلال الزيارة التأكيد على ضرورة إدامة تواصل الطلبة الخريجين واهتمامهم بالنشاطات القرآنية، وألا تقتصر علاقتهم مع كتاب الله العزيز في فترات معينة، بل ينبغي أن يكون كتاب الله حاضراً في جميع مفاصل الحياة، حيث إن الجميع مأمورون بالتمسك بكتاب الله وعترته وتعلّم أحكامه، فينبغي أن يكون حاكماً على أقوالنا وأفعالنا، والاستفادة من مفردات لغته المباركة، فضلاً عن الاستفادة من الدروس التي رافقت تلك الدورة في العقائد والأخلاق وأصول الدين وفروعه وسيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام.

كما تخلل البرنامج جولة ميدانية للوفد في رحاب الصحن الكاظمي الشريف، اطّلع خلالها على معالم العتبة التاريخية، ومكتبة الجوادين العامة، ومعرض النقش والزخرفة، فضلاً عن الاطلاع على أهم المشاريع التي تشهدها العتبة المقدسة في المجال العمراني والثقافي والخدمي. بعدها تم توزيع شهادات المشاركة على طلبة الدورة الصيفية للبنين والبنات من جوار الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام.

وفي ختام الزيارة تقدّم أعضاء الوفد وأساتذة الدورة بالشكر والامتنان إلى الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة وخدّام العتبة المقدسة على حُسن الضيافة والاستقبال، متمنين لهم دوام التوفيق والسداد في خدمة الثقلين.

اختتام فعاليات أسبوع الولاية بتخرج الدورات القرآنية

تزامناً مع الذكرى المباركة التي عاشها الموالون في يوم الغدير الأغر، شهدت رحاب الصحن الكاظمي الشريف حفل تخرج الدورات القرآنية التخصصية، ضمن فعاليات أسبوع الولاية لهذا العام، وذلك بحضور نخبة من الأساتذة والمهتمين بالشأن القرآني، وطلبة الدورات القرآنية، وجمع من الزائرين الكرام.

حيث احتضن مركز القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة ما يُقارب (٢٨٢) طالباً وطالبة ممن شاركوا واجتهدوا في استكمال مناهجهم القرآنية المتخصصة في دورات القراءة الصحيحة، وقواعد التجويد، والقراءة التحقيقية والإجازات العلمية، والتفسير وعلوم القرآن، ودورة القراءة التطويرية، والنغم والمقامات بطريقة العراقية والمصرية (حضورياً وإلكترونياً)، فضلاً عن دورة طرائق التدريس.

استهل حفل التخرج بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، شنّف بها أسماع الحاضرين الطالب أحمد نجم عبدالله، بعدها كلمة العتبة الكاظمية المقدسة، وألقاها فضيلة الشيخ عماد الكاظمي، هنّأ في مطلعها الحضور بمناسبة عيد الغدير الأغر يوم التنصيب الإلهي الذي اصطفى الله تبارك وتعالى فيه سيد الوصيين أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إماماً للأمة وهادياً لها، كما أشاد بجهود المنظمين لبرنامج أسبوع الولاية المبارك الذي تخلل فعاليات ونشاطات مختلفة على الصعيد الفكري والثقافي والعقائدي، بمشاركة حشود الموالين ونخبة من خدام العتبة

الكاظمية المقدسة من المنشدين، والرواديد، والشعراء وبدعم لوجستي من قسم العلاقات العامة، وشعبة الإعلام، ومركز القرآن الكريم، فضلاً عن جهود الأقسام الساندة.

كما أشار فضيلته إلى أهمية عيد الغدير ومنزلته الكبيرة في قلوب المؤمنين، والأبعاد العقائدية لبيعة الغدير، ودور أمير المؤمنين عليه السلام في توحيد الصف الإسلامي وتثبيت الرسالة المحمدية السمحاء.

وتابع حديثه بالقول: نوجّه دعوتنا اليوم إلى أولياء الأمور أكثر من أيّ وقت مضى إلى التمسك بمبادئ الوعي والثقافة الإسلامية، حيث تقع على عاتقهم مسؤولية كبيرة ألا وهي محاربة كل أشكال الانحراف الأخلاقي والعقائدي وحثّ أبنائهم على الالتزام بالمبادئ التي أكد عليها صاحب الذكرى أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، ونحن نرفل في رحاب مدرسته العظيمة عليه السلام وما احتوته من أسس رصينة في بناء المجتمع).

كما شهد الحفل تلاوة بالطريقة العراقية عطر بها أجواء الصحن الكاظمي الشريف كوكبة من فتية الجوادين، وهم نخبة من ثمار الدورات القرآنية، فضلاً عن مشاركة لفرقة إنشاد الجوادين، واختتم الحفل بتوزيع الشهادات التقديرية والهدايا على أساتذة الدورات وطلبتها من بركات الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام.

من الجدير بالذكر أن الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة تسعى دائماً من خلال الملاكات التخصصية لمركز القرآن الكريم إلى نشر الثقافة القرآنية بين أوساط المجتمع، والسعي إلى بناء الإنسان فكرياً ودينياً، وتحصينه من الهجمات التي نراها تعصف بالمجتمع بشكل عام، وبشبابنا بشكل خاص.

نشاطات قرآنية متنوعة

في رحاب العتبة الكاظمية المقدسة

من ضمن النشاطات المتواصلة لمركز القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة، وسعيه الدؤوب لنشر الثقافة القرآنية وبثها في شرائح مجتمعنا الكريم كافة، أقام المركز جُملة من النشاطات والبرامج القرآنية التعليمية وبعض الدروس الفقهية والعقائدية والأخلاقية في مختلف المجالات وبمشاركة نخبة من الأساتذة والقراء والحفظة وبحضور أعداد من الطلبة الأعزاء من كلا الجنسين وبمختلف الاعمار، والتي كانت على النحو الآتي:

زيارة طالبات الدورة الصيفية متحف النقش والزخرفة

زيارة وفد من المركز الوطني لعلوم القرآن الكريم
لمركز القرآن الكريم

الدورة الصيفيةالبنات

الدورة الصيفية للبنين

جانب من اختبار زيارة عاشوراء للبنات

الاختبارات الدورية الشهرية لمشروع الحفظ خلال أربع سنوات

درس القراءة الصحيحة لخدم الإمامين الجوادين عليهما السلام معلم الدورة علي ماهر

دورة تفسير القرآن الكريم معلمة الدورة دنيا جميل محمد

درس الحفظ الحضورية بإشراف الأستاذ مكي السعدي

إحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام من قبل طالبات الدورة الصيفية في مركز القرآن الكريم.

حفل تخرج دورة الثالثة عشر للبنات

حفل تخرج الدورة الصيفية الثالثة عشر

دورة أحكام التلاوة والتجويد للنساء معلم الدورة القاريء رافع العامري

دورة أحكام التلاوة والتجويد للنساء معلمة الدورة زينب قاسم عبد الهادي

دورة أحكام التلاوة والتجويد للنساء معلم الدورة آمال عبد الكريم

دورة أحكام التلاوة والتجويد للنساء معلمة الدورة إسراء حسين فرج

مشروع حفظ القرآن الكريم خلال أربع سنوات معلمة الدورة غفران ليث عبد الأمير

إقامة دورس القراءة الصحيحة لطلاب الدورات الصيفية

دورة القراءة الصحيحة للنساء معلمة الدورة جميلة دحام

دورة حفظ وتفسير سورة البقرة المباركة لطالبات المعاهد والجامعات معلمة الدورة إسراء حسين

دورة تفسير القرآن الكريم

دورة طرائق التدريس للنساء معلمة الدورة دنيا جميل محمد

مشاركة حافظات مركز القرآن الكريم في المسابقة السنوية الرابعة الخاصة بطلبة الإعداديات والمتوسطات

دورة الحفظ الحضورية للنساء معلمة الدورة آمال مظفر

دورة الحفظ الحضورية للأولاد معلم الدورة القارئ مصطفى الدباغ

دورة الحفظ الحضورية معلمة الدورة بتول جبار

دورة الحفظ الحضوري معلم الدورة لؤي حاتم الطائي

دورة الأنغام والأداء التطويري بالطريقة العراقية معلم الدورة القارئ محمد الربيعاوي

دورة حفظ وتفسير سورة البقرة المباركة لطالبات المعاهد والجامعات معلمة الدورة الدكتورة دنيا جميل

دورة أحكام التلاوة والتجويد للنساء معلمة الدورة زينب قاسم عبد الهادي

دورة القراءة الصحيحة الحضوريةللنساء معلمة الدورة عارفة كمال محمد

دورة القراءة التطويرية للنساء معلمة الدورة سوسن محمد

دورة القراءة التطويرية للرجال معلم الدورة القارئ فراس الطائي

دورة القراءة التحقيقية والإجازات للرجال معلم الدورة حيدر سعد الكاظمي

دورة القراءة التحقيقية للنساء معلم الدورة حيدر سعد الكاظمي

دورة الحفظ للنساء معلمة الدورة غفران ليث

دورة الحفظ للفتيات معلمة الدورة نور جاسم محمد

دورة الحفظ الحضورية للنساء معلمة الدورة ميادة عبودة

درس في العقائد وتفسير القرآن الكريم للرجال بإشراف سماحة الشيخ عدي الكاظمي

تعدّ ظاهرة الغلو من أخطر الظواهر الفكرية التي تنشأ في المجال الديني، وقد أخذت هذه الظاهرة تنبعث في عصرنا بصورة مقلقة للغاية، ويتزايد ظهورها بين أوساط الشباب خاصة، وبالشكل الذي يلفت النظر إليها، ويحرض على التأمل فيها. لهذا كان من الضروري العودة إلى القرآن الكريم الذي تحدث عن هذه الظاهرة. وذلك لمعرفة المنطق القرآني في النظر لهذه الظاهرة.

كرار رزاق المحنه

ويستفاد من النصوص القرآنية أن ظاهرة الغلو كانت قديمة قدم الرسالات السماوية، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[1] كلمة الغلو وردت في القرآن الكريم مرتين، ﴿... لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ...﴾[2]، وفي آية المائدة﴿ ... لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ... ﴾[3]وجاءت في سياق الحديث عن نهي أهل الكتاب، والنصارى منهم بالذات عن الغلو في الدين. والغلو هو الخروج عن حدّ الاعتدال سواءً كان في المعتقد أم غيره، فالآية وإن نزلت في حق أهل الكتاب إلا أنها تتعدى إلى غيرهم؛ وذلك لأن المورد لا يخصص الوارد، والعبرة في عموم اللفظ لا في خصوص السبب كما يعبر المفسرون عن ذلك.

وعند التأمل والنظر في الآيتين اللتين ذكرتا الغلو، يمكن أن نستفيد منهما حقيقة الغلو الذي ينشأ من مناشئ جميلة في الظاهر، إلّا انه يستبطن الإفراط والتطرف في عقيدة العبد، فيكون صاحب هذا المعتقد وبالاً على المجتمع المحيط به من دون أن يعلم. وربما يقال بأن الاستعمال الحقيقي لها في مجال العلاقة بالدين، ويراد من كلمة الغلو هو وصف العلاقة غير السوية بالدين، أي بتجاوز الحدّ زيادةً وإضافةً، أو نقصاناً ونكراناً على ما حدّده وقرّره الدين. أما الزيادة والإضافة هو ما وقع فيه النصارى باعتقادهم أن عيسى بن مريم عليه السلام هو ابن الله، أو أنه الله جل الله تعالى عن ذلك علواً كبيرا، أو القول بعقيدة التثليث. والنقصان والنكران هو ما وقع فيه اليهود بنكرانهم لنبوة نبي الله عيسى عليه السلام. وهذا يعني أن الغلو هو خروج أو تجاوز على الحق، والمقصود بالحق تارة ما قرره الوحي والكتاب، وهذا من جهة النص، وتارة أخرى ما وافق السنن والقوانين الإلهية، وهذا من جهة الواقع. وبالتالي، يظهر مصير من يعتقد بالغلو في الدين، وأنه ينتهي بأهله إلى الضلال والابتعاد عن سواء السبيل..

إنّ الخطاب القرآني في هاتين الآيتين موجه إلى أهل الكتاب الذين وقعوا في مشكلة الغلو، وكانت أعظم مشكلة وقعوا فيها، إنّ مشكلة الغلو قد تنشأ بطريقة ذاتية، وقد تنشأ بطريقة متوارثة من قوم سابقين. فآية النساء تشرح مشكلة الغلو حين ينشأ بطريقة ذاتية بسبب إشكاليات وتفسيرات بشرية خاطئة في فهم العقيدة ﴿... وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ...﴾ . وآية المائدة تشرح مشكلة الغلو حين ينشأ بطريقة متوارثة من قوم سابقين ﴿.. وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ ... ﴾ . والقرآن ينبهنا إلى هذه المشكلة الخطيرة ويلفت نظرنا إليها لكي نكون على بصيرة في أمر ديننا، وكذلك حذرنا أهل البيت عليهم السلام من الغلو لعواقبه الوخيمة، فقد روي عن الأمام الصادق عليه السلام أنه قال (اتقوا الله وعظموا الله، وعظموا رسول الله صلى الله عليه وآله. ولا تفضلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً، فإن الله سبحانه وتعالى قد فضله. وأحبوا أهل بيت نبيكم حباً مقتصداً ولا تغلوا ولا تفرقوا، ولا تقولوا مالا نقول). لذا ينبغي على المؤن الواعي أن يتوخى الحذر من الغلو، وعليه أن يعمل بما جاء عنهم عليهم السلام، والتحلي بالاعتدال. وعن أبي جعفر عليه السلام قال: (يا معشر الشيعة - شيعة آل محمد- كونوا النمرقة الوسطى يرجع إليكم الغالي ويلحق بكم التالي)، فقال له رجل من الأنصار: فما التالي؟ قال: (قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، فليس أولئك منا ولسنا منهم) قال: فما التالي؟ قال: (المرتاد يريد الخير يبلغه الخير يؤجر عليه). ثم قال عليه السلام: (والله ما معنا من الله براءة، ولا بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجة، ولا نتقرب إلى الله إلّا بطاعة، فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا، ومن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولايتنا، ويحكم لا تغتروا، ويحكم لا تغتروا)[4].

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٧.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٧١.
(٤) الكافي، الكليني، ج٢، ص٧٥.

توبة الأنبياء واستغفارهم

ثبتت عصمة الأنبياء عليهم السلام في علم الكلام بصورة عامة، وعصمة نبينا محمد صلى الله عليه وآله ثم أئمة الهدى من أهل بيته عليهم السلام، وهي بمعنى الحفظ والوقاية، أي لطفٌ يفعلُهُ اللهُ تعالى ببعض من عباده، بحيث تمنع منهم وقوع المعصية، وترك الطاعة، مع قدرتهم عليهما. وهي من المفاهيم القرآنية التي جاء ذكرها في القرآن، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

الشيخ ليث عباس

وقد قام الدليل العقلي على إثباتها: إنّ دعوة النبوة مقترنة بوجوب إطاعة النبي، ولو ثبت فعل النبي للمعصية، فيجب اتباعه في فعله الصادر منه عصياناً أو خطأ، فإن وجب اتباعه فقد أوجبنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى، وهذا باطل بضرورة الدين والعقل. ويشهد بذلك آيات من القرآن الكريم:

اللفيف الأول

من الآيات يصف الله تعالى بها مجموعة من الأنبياء بأنّهم مشمولون بهدايته سبحانه، وأنّهم القدوة والمهديون من الأُمّة قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ... وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]، ومن ثم تصفهم آيات بأن الذي ينال هدى الله تعالى على وجه يجعلهم القدوة والأسوة الحسنة للناس، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[2].

اللفيف الثاني

من الآيات عندما تصفهم بأنّ من شملته الهداية الإلهية غير مضل له، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍ﴾[3].

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٧.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.
(٣) سورة الزمر، الآيتان: ٣٦-٣٧.

اللفيف الثالث

من الآيات التي تصرح بأنّ حقيقة العصيان هي الانحراف عن الجادة الوسطية إلى الضلالة بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[4].

وبملاحظة هذه الطوائف من الآيات القرآنية تظهر عصمة الأنبياء عليهم السلام بوضوح، فإذا كان الأنبياء مهديين بهداية الله سبحانه، ومن جانب آخر لا يتطرق الضلال إلى من هداه الله تعالى، ومن جانب ثالث كانت كل معصية ضلال؛ فيكون من لا تصل إليه الضلالة لا يفعل العصيان، فتثبت عصمتهم صلوات الله عليهم. وهذا ما أكّدته الآيات القرآنية بطرق مختلفة، منها أنّ اللّه سبحانه كرّر في كلامه أنّ له عباداً يسمّيهم المخلصين،

(٤) سورة يس، الآيات: ٦٠- ٦٢.

وهم مصونون عن المعصية لا يطمع الشيطان في إغوائهم، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٥]. ومع ثبوت العصمة للأنبياء فلا معصية ولا ذنب لهم، وبالتالي لا يحتاجون للمغفرة والاستغفار. لكن لو رجعنا إلى كلام الرسل والأنبياء عليهم السلام التي دلّ عليها القرآن الكريم، لوجدنا أنهم يكثرون من الاستغفار ويطلبون من الله تعالى المغفرة والرضوان، وقد حكى الله تعالى على لسان أنبيائه عليهم السلام، كقول نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً﴾[٦].

وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[٧].

وقول موسى لنفسه وأخيه عليهما السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾[٨]، وغيرها من الآيات التي تذكر استغفار الأنبياء عليهم السلام.. الأمر الذي يستنكره البعض لأنه يرى ذلك منافياً لمقام عصمتهم عليهم السلام، أو ينكر ثبوت العصمة للأنبياء عليهم السلام، وسبب هذا الاستنكار أنهم يتصورون أن الاستغفار لا يكون إلا من المعصية، والذنب، وترك الواجبات، وهو يتنافى مع مقام عصمتهم عليهم السلام.

لبيان ذلك يقال إنّ من الذنب ما هو غير الذنب المتعارف، وكذا من المغفرة ما هي غير المغفرة بمعناها المتعارف، أي إنّ للذنب مراتب مختلفة ومراتبها طولية، كما إنّ للمغفرة مراتب بمحاذاتها تتعلّق كلّ مرتبة من المغفرة بما يحاذيها من الذنب، وليس من اللازم أن يكون كلّ ذنب وخطيئة متعلّقا بأمر أو نهي مولوي، فيعرف ويتبيّن ذوو الأفهام العامّية الساذجة، ولا أن يكون كلّ مغفرة متعلّقة بهذا النوع من الذنب.

بعض من وجوه استغفار المعصومين عليهم السلام

الاستغفار لترك الأولى أو الأفضل: قال صاحب (كشف الغمّة) ووافقه الشيخ الطوسي: (إنّ الأنبياء لمّا كانت قلوبهم مستغرقة بذكر الله ومتعلّقة بجلال الله ومتوجّهة إلى كمال الله، وكانت أتمّ القلوب صفاء وأكثرها ضياء وأغرقها عرفاناً وأعرفها إذعاناً وأكملها إيقاناً، كانوا إذا انحطّوا عن تلك المرتبة العلية ونزلوا عن تلك الدرجة الرفيعة إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتناكح والصحبة مع بني نوعهم وغير ذلك من المباحات، أسرعت كدورة إليها؛ لكمال رقّتها وفرط نورانيتها، فإنّ الشيء كلّما كان أرقّ وأنضر كان تأثّره بالكدورات أبين وأظهر، فعدّوا ذلك ذنباً وخطيئة، فتابوا واستغفروا، وإليه الإشارة في قوله صلى الله عليه وآله: (إنّه ليران (من الرين) على قلبي فأستغفر الله سبعين مرّة))[٩]. فيكون استغفار الأنبياء عليهم السلام ليس من الذنب والمعصية حتى يكون منافياً لمقام العصمة، إنما هو بمثابة ارتباط نوراني مع الله تعالى وجلاء للقلب من الهموم والغموم وما يحيط بهم من كل ما يكدر صفاء الروح من أعمال غيرهم، فهو استمداد روحاني و رقي في المنزلة الرفيعة.

الاستغفار التربوي التعليمي

من أسباب استغفار الأنبياء عليهم السلام هو تربية الناس وتعليمهم طريقة التوبة والاستغفار.

الاستغفار للخشوع والتذلل لله تبارك وتعالى في أي حال من الأحوال، ومهما بلغت منزلة الإنسان من العبادة، يبقى محتاجاً ومفتقراً إلى الله تعالى، بدليل قول موسى عليه السلام في القران الكريم رغم أنه من أنبياء أولي العزم: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ أي مفتقر ومحتاج إلى الله تبارك وتعالى.

الاستغفار لاستجابة الدعاء، وممّا يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا* وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[١٠]..

وبما أن للدعاء دوراً هاماً ومشهوداً في تربية الناس وحثّهم على الابتعاد عن الذنوب والمعاصي وسلوك النهج الإلهي، فقد حثّ رسول الله صلى الله عليه وآله على فضل الاستغفار في إجابة الدعاء بأحاديثه كقوله: (مَن لزم الاستغفارَ جعل اللهُ له من كلّ همٍّ فرجاً، ومن كلّ ضيقٍ مخرجاً، ويرزقه من حيثُ لا يحتسبُ)[١١]. واهتم الأئمة عليهم السلام بهذه الوسيلة كل اهتمام، فقدّموا للناس كمّاً هائلاً من الأدعية المؤثرة لمختلف الطبقات والحالات والمناسبات، ومن خلال هذه الأدعية استطاع الأئمة عليهم السلام تعليم الناس الكثير من العلوم والمعارف والآداب، ولولا هذه الأدعية لما كنّا اليوم نعرف كيف نخاطب الله تعالى، ونطلب منه العون والمدد في اللحظات الصعبة والأزمات الحرجة التي نمرُّ بها. إنّ الدعاء مدرسة حقيقية أسّسها أولياء الله تعالى من الأنبياء والأئمة عليهم السلام من أجل تعليم الناس، وإرشادهم طريق الصلاح والفلاح.

(٥) سورة الحجر، الآيتان: ٣٩-٤٠.
(٦) سورة نوح، الآية: ٢٨.
(٧) سورة إبراهيم، الآية: ٤١.
(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٥١.
(٩) شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، ج١٠، ص١٧٥.
(١٠) القران الكريم، سورة نوح، آية ١٠-١٢.
(١١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٩٠، ص٢٨٤.

الصدقة

عند ذكر الصدقة، يتبادر إلى أذهاننا مباشرة مفهوم المال المنفق في سبيل الله. وكما هو معلوم، فإن الدين الإسلامي يركز على ضرورة أن تكون الصدقات مستمدة من مال حلال. وقد وضعت التشريعات المالية المتعلقة بالصدقات استنادًا إلى ما ورد في القرآن الكريم وبعض الروايات عن أهل البيت عليهم السلام.

أقسام الصدقة

تنقسم الصدقة بناءً على النصوص الواردة إلى نوعين: واجبة ومستحبة ويتضح أنه على الرغم من تصور البعض بأن العطاء قد ينقص من ثرواتهم، فإن الواقع يظهر عكس ذلك؛ حيث إن هذا العطاء يزيد البركة والازدهار ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[1].

وفيما يتعلق بالقسم الواجب من الصدقة، فيشمل الزكاة، والخمس وزكاة الفطرة تحت ظروف وأوقات محددة. والأموال الواجب دفعها تذهب لفئات معينة، وهذه الفئات المستحقة لمثل هذه المساعدات تشمل الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمين وابن السبيل، وفقًا لما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2]. وأما ما يتعلق بالقسم الثاني من الصدقة والمتمثل بالصدقة المستحبة فكل المنافع المستحب تقديمها مفتوحة دون حد معين؛ إذ يمكن للمرء التبرع بأي مقدار يرغب به للفقراء والمحتاجين[3].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٠.
(٣) تفسير الميزان، الطباطبائي، ج ٩، ص ٣٨٦.

أهمية الصدقة

إنّ أهمية الصدقة في الإسلام تتجلى بوضوح عبر العديد من الآيات القرآنية التي تؤكد الثواب العظيم للمتصدقين. ومن الجدير بالذكر أن هذه الأفعال الجليلة تصل إلى الله قبل أن تصل إلى المستحقين للأمر بالتصدق به، كما قال تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[4]، مما يعني أن الفقراء يقبلونها نيابةً عن الله سبحانه وتعالى. لذا تعتبر يد المتلقي هي يد الله تعالى -وهو تعبير يعكس عظمة الصدقة عند الله سبحانه وتعالى.

آثار الصدقة

فيما يتعلق بآثار الصدقة، تشير العديد من الروايات إلى أثرها البالغ على الاستقرار النفسي للمتصدق. وأن بتصدقه إن كان لله خالصاً فهو يضمن أن الصدقة تدفع عنه ميتة السوء قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (الصَّدَقَةُ تَدْفَعُ مِيتَةَ السَّوْءِ)[5]، وتزيد في ماله قال صلى الله عليه وآله: (تَصَدَّقُوا فَإِنَّ الصَّدَقَةَ تَزِيدُ فِي الْمَالِ كَثْرَةً، فَتَصَدَّقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ)[6]، وَرَوَى زُرَارَةَ عَنِ الإمام الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ، مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ. إِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ الْمَعُونَةَ عَلَى قَدْرِ الْمَؤُونَةِ)[7]، والصدقة يُدفع بها عن المرض والبلاء وكيد الشيطان عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِاللَّهِ عليه السلام: (دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَادْفَعُوا الْبَلَاءَ بِالدُّعَاءِ، وَاسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّهَا تُفَكُّ مِنْ بَيْنِ لُحِيَّيْ سَبْعِمِائَةِ شَيْطَانٍ)[8]، وتظل صاحبها يوم القيامة، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أرض القيامة نار ما خلا ظل المؤمن، فإن صدقته تظله)[9].

طرق وتنوع الصدقات

لم يقتصر نظر الآيات والروايات في موضوع الصدقة على المنظور المادي فقط؛ وإنما وسع دائرتها لكي يتسنى لكل أحد ممارستها، ولا يحرم منها من ليس له مكنة التصدق بالمال، فقد يتساءل المرء: كيف يمكن للشخص الذي يعاني ضيق الحال ولا يملك المال أن يقدم صدقة؟ وهذا السؤال يجيبنا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله (إنّ على كل مسلم في كل يوم صدقة، قيل: من يطيق ذلك؟ قال صلى الله عليه وآله إماطتك الأذى عن الطريق صدقة، وإرشادك الرجل إلى الطريق صدقة، وعيادتك المريض صدقة، وأمرك بالمعروف صدقة، ونهيك عن المنكر صدقة، وردك السلام صدقة)[10].

يتضح من هنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله أشار إلينا بطرق متعددة لتقديم الصدقات، ولم يقتصر على التصدق بالمال. فعندما نسهل ونوسع الطرق للمؤمنين أو نساعد ذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السن بإرشادهم، فإننا بذلك نقدم صدقات حقيقية، كما أن الحديث يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بعمل الخير صدقة كما أن رد السلام يأتي كواجب شرعي يحمل أيضًا قيمة العطاء.

وأفاد الإمام الرضا عليه السلام في أحد أحاديثه بأهمية الابتسامة في وجه المؤمن معتبرها نوعاً من أنواع الصدقة، قائلاً: من تبسم في وجه أخيه المؤمن كتب الله له حسنة. وفي موقع آخر، ذكر عليه السلام: «من خرج لقضاء حاجة -ومسح وجهه بماء الورد لم يرهق وجهه بقترة أو ذلة -ومن شرب من سؤر أخيه المؤمن تواضعاً أدخله الله الجنة بلا شك. وختم بالإشارة إلى أهمية الابتسامة كعمل خير حيث قال: ومن تبسم في وجه أخيه المؤمن كتب الله له حسنة، ومن كتب الله له حسنة لم يعذبه.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.
(٥) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ٩، ص ٣٦٧.
(٦) المصدر نفسه، ص ٣٦٩.
(٧) المصدر نفسه، ص ٣٧٠.
(٨) المصدر نفسه، ص ٣٧٥.
(٩) الكافي، الشيخ الكليني، ج٤, ص٣.
(١٠) بحار الأنوار، ج ٧٢، العلامة المجلسي، ص ٥٢.

الدفاع عن مقامات رسول الله محمد ﷺ

(الحلقة الثانية)

تكلمنا في الحلقة السابقة وأشرنا من غير تفصيل ما تعاضدت عليه الجماعة الضالة من أن القول بالشفاعة، ومغبة الاعتقاد بها يفضي إلى الشرك ونحوه، ولرد الحجر من حيث جاء ارتأينا أن نخصص هذه الحلقة للرد على هذه الشبهة فنقول:

إن زعم هؤلاء، وراءه غرض معروف بيّن لكل متدبر يقرأ الأحداث بتمعن، فهؤلاء إنما ربطوا الشفاعة بالشرك ليوهموا عموم الناس بأن الاعتقاد بالشفاعة مفضي إلى الشرك، ليرعبوهم ويهولوا به الأمر عليهم، مستغلين بساطتهم وفهمهم السطحي للأمور، فأخوف ما يخافه الناس، هو وقوعهم في الشرك من حيث لا يعلمون، لكونهم غير ملمين بالدين والعقيدة ويجهلون مسالك الشرك، وفكرة السقوط به ترعبهم، باعتباره جرم عظيم ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١)، وهذا ما تبجحت به وعملت على توثيقه وتوطيده الجماعة الضالة المضلة في نفوس الناس، غايتهم من ذلك بالدرجة الأولى سلب كرامة ومنزلة اختصها الله لرسوله وأهل بيته (الشفاعة)، حسداً من عند أنفسهم، وكذلك غايتهم من وراء نفي الشفاعة، هو الخوف من كشف المستور وحقيقة ما أخفوه عن عامة الناس، فلو أنهم اعتقدوا بأن الشفاعة هي منزلة وكرامة ربانية يمنحها الله لعباده المقربين، وآمنوا بها على هذا النحو، فهذا يعني بعثرة كلّ أوراقهم وحساباتهم؛ لأنهم يعلمون علم اليقين أن من تولوهم وساروا على خطاهم ليسوا إلا شراذم لا خلاق لها، وليس لها منزلة عند الله ولا مكانة ولا كرامة ولا تملك أهلية الشفاعة، وغير مؤهلة لهذه المهمة، فأنى لأئمة بني أمية وبني العباس ذلك ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

وربَّ قائل منهم يقول إنّ الله سبحانه وتعالى يحب لعباده الهدى ويكره لهم مقاربة الشرك، فهو من أجل ذلك يجفف منابعه ويقطع عليهم أسبابه، ومن أسبابه القول بالشفاعة، إذ إنّ الاعتقاد بها معناه وجود ذات غير الذات الإلهية قادرة على أن تحدث أثراً وتغيّر واقعاً، باستقلالية تامة، وهذا الاعتقاد يجر المعتقد بها إلى تعظيم الشافع ولا حراجة من التوسل به في قضاء حوائجه، ما دام قادراً على فعل ذلك، ولعل الأمر يتطور من شافع له يقربه زلفى إلى الله إلى ربٍّ معبودٍ يتوسل به من دون الله، كفعل أهل الجاهلية، الذين اتخذوا أصنامهم شفعاء لهم يقربونهم زلفى إلى الله، وتطور الحال عندهم لتصبح أصنامهم أرباباً يعبدونها من دون الله.

وهذا قول هراء، لأن ما بين الأمرين فرق بيّن وبون شاسع، إذ الذين اتخذوا أصنامهم شفعاءهم، يعتقدون باطلاً أن شفاعة أصنامهم شفاعة الآلهة القادرة بإلهيتها أن تنجز شفاعتها وتنفذها طبعاً وحتماً، فيمن تحب وترتضي، أي أن فيها تحكم على الله (حاشا لله)، وهذا ما لا يعتقده كل من يعرف الشفاعة بحقيقتها ويفهمها فهماً عميقاً، فهم يرون من خلال فهمهم للآيات القرآنية الخاصة بالشفاعة أن لا استقلالية فيها، إذ لا تتم إلا بالمأذونية والرضى من قبل الله سبحانه وتعالى، ولا تعارض أن تكون الشفاعة كلها لله، ولكنه يمنحها لخاصة أوليائه إكراماً لهم وزيادة في شرفهم وبيان قدرهم عنده، فيأذن لهم بالشفاعة من قبيل قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (٣) ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (٤)، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ما مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (٥)، ثم أن هؤلاء الممنوحين شرف الشفاعة لا يتجاوزون حدود ما منحهم الله كما في قوله تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٦).

يتضح من حصيلة هذا الاستعراض أنّ القرآن الكريم لا يرى من خلال منح الشفاعة أية مقاربة ومقارفة للشرك، إذ كيف يأذن الله لشيء يكون سبباً في ضلال العباد وهلاكهم، فليس من المعقول أن الله الذي يحب لعباده الهدى ويكره لهم الضلالة، أن يجعل لهم مزلقاً وهو الشفاعة ينزلقوا فيه إلى هاوية الشرك، ثم أن القرآن لم يصف الذين يتوسلون بالأنبياء والصالحين في قضاء حوائجهم والاستغفار لهم، على نحو اعتبارهم وسائط، لا على نحو النظر إليهم باستقلال بأنهم مشركون ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٧)، فهاهي الآية تعلمنا كيفية استغلال منزلة رسول الله ﷺ في التشفع والتوسط إلى الله في قضاء الحوائج، وطلب المغفرة منه في الحياة الدنيا، ومن باب الأولى أن يكون ذلك في الحياة الآخرة.

ثم أن العقل والفطرة يحكمان بأن اتخاذ الوسيلة والوساطة وطلب الشفاعة لا يعد نوعاً من الشرك، أما العقل فيذهب في استدلاله إلى أن عموم المسلمين يعتقدون بمنفعة الحجر الأسود يوم القيامة، وأنه يشفع لملتمسه، والقرآن يشفع لصاحبه، والعمل الصالح يدافع عن صاحبه في كل مواقف يوم القيامة، ولا أحد ينكر ذلك، أفيعقل بعد ذلك ألا يرون لرسول الله هذه المنزلة (الشفاعة) وهو سيد المخلوقات وأشرف ما خلق الله ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٨).

أما الفطرة فتحكم أن التوسط والشفاعة ليس لها غرض إلا أن توصل طالب الشفاعة من خلال الشافع إلى مقصده، فالشافع لا يناله نصيب مما تشفع به، ولا هو شريك في قضاء الحاجة، ولتقريب المعنى أكثر لو أن إنسان ذو وجاهة عند ملك ما، توسط لمذنب ارتكب ذنباً استحق عليه العقاب، فلا يتصور أن الشافع قد عاد عليه فعل الشفاعة بالمنفعة، ولا يعد عرفاً أن الشافع شريكاً للملك في العفو عن المذنب، بل هو واسطة تم من خلالها المقصد، فينتفي كون الشافع شريكاً للمشفوع عنده في عرف العقلاء.هذا ما جاد به المقال ومن الله التوفيق.

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.
(٣) سورة مريم، الآية: ٨٧.
(٤) سورة طه، الآية: ١٠٩.
(٥) سورة يونس، الآية: ٣.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.
(٧) سورة النساء، الآية: ٦٤.
(٨) سورة القلم، الآية: ٣٦.

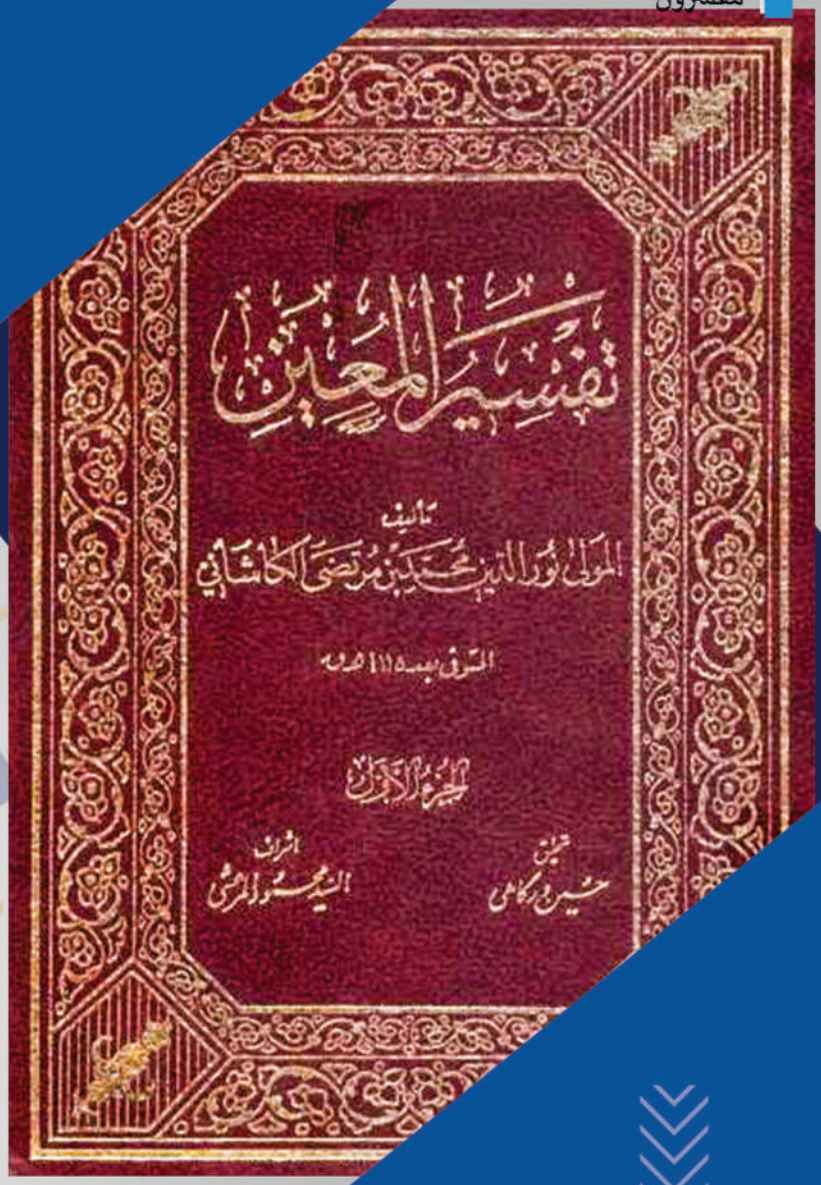

صاحبُ المُعينِ.. مَعينٌ لا يَنضب

المولى نور الدين محمد بن مرتضى الكاشاني

مشكاة في العلم، ومعينٌ ينهل منه الظماء، ربيب العلم والمعرفة، غزير العطاء، كثير المواهب، كرّس وقته في طلب العلم، حتى أنه كتب الكثير من المؤلفات القيمة وخلّف بعده تراثاً خصباً، شهد له أساطين علماء المذهب، فحاز مرتبةً يغبطه عليه من عاصره ومن لم يعاصره إنّه نور الدين محمد بن شاه مرتضى الثاني بن محمد بن مؤمن مرتضى الأول، حفيد أخي المحدث الفيض الكاشاني. تفسير المعين، ج١، المقدمة.

حيدر صباح عبد الرزاق

عُرف في كتب التراجم بالمولى نور الدين، باحث ومحدث وأديب وعارف وفقيه. كان والده من المتكلّمين، وحكيماً فقيهاً من الأصوليين، فهو مفسر ورجاليٌ وشاعر، كانت دراسته في كتاب الوافي للفيض الكاشاني على يد والده، وتبحّر في معانيه وأتقنه بشكل جيد، حيث كتب له والده أجازة على ظهر الكتاب، وكذلك كتب له الفيض الكاشاني بخطه إجازة تحت خط والده[١] إجازتين تشعّان مثل كوكبين في سماء الرجال.

أساتذته وأصحاب الإجازات

- والده، وكان تاريخ إجازته له سنة ١٠٧٨هـ، ولقد ذكر أنه روى عن أبيه عن البهائي عن شاه مرتضى الكبير عن المولى فتح الله المفسر.[٢]
- الفيض الكاشاني، حيث كانت إجازته سنة ١٠٧٩هـ، ولقد جاء في الذريعة[٣] تصريح الفيض بأنه ابن أخيه.
- العلامة المجلسي صاحب (بحار الأنوار) المتوفى سنة ١١١١هـ، حيث كان تاريخ أجازته سنة ١٠٨٤هـ وقد دعا له في نص الإجازة.
- شيخ الإسلام في مدينة قم المقدسة محمد الطاهر بن محمد الشيرازي المتوفى سنة ١٠٩٨هـ صاحب كتاب حجة الإسلام في شرح تهذيب الأحكام، وذكر بأن صدر الدين الشيرازي المشهور صدر المتألهين أو ملا صدرا كان من أساتذة المؤلف كما في كتابه (الحقائق القدسية والرقائق الأنسية)، فقد نقل عنه الكثير.
- نزيل الغري الشيخ قاسم بن محمد الكاظمي النجفي المتوفى سنة ١١٠٠هـ، وكان تاريخ إجازته سنة١٠٩٥هـ.[٤]

(١) تفسير المعين، ج١.
(٢) المصدر نفسه.
(٣)المصدر نفسه ج٤، ص٩٧.
(٤) تفسير المعين، ج١، المقدمة.

تلامذته

- كان من تلامذته ولده بهاء الدين محمد.
- السيد عبد المطلب الحسيني الكاشاني.[٥]

مؤلفاته

كان المؤلف كثير المطالعة كثير التأليف متّقد الذهن، ترك بعده تراثاً قيماً وكتباً كثيرة منها ما عُثر عليها، نذكر منها ما تيسر.

- الأدعية الكافية، وهو كتاب يشتمل على سبعة مناجاة طوال.
- الأدعية المنتخبة، وهو منهج عبادي يحتوي على أدعية الأيام والليالي.
- كتاب في إجازات الرواة، لم يكتمل.
- أدب الدعاء، وهو كتاب أخلاقي جميل، على غرار كتاب عدّة الداعي لابن فهد الحلي.
- ألّف كتاب في ترجمة حياة عم أبيه الفيض الكاشاني.
- كتب تعليقات قيّمة على تفسير الصافي (للفيض الكاشاني).
- التفسير المبين. تفسير باللغة الفارسية وهو مختصر.
- تفسير المعين. تفسير بالعربية وهو ملخص لتفسير الجلالين وتفسير شبر.
- تنوير القلوب، وهو من أربعة عشر باباً في الحكمة والمعرفة وبعض العقائد.
- الحقائق القدسية والرقائق الأنسية، وهو كتاب عقائدي في المبدأ والمعاد، أكثر فيه النقل عن أُستاذيه صدر المتألهين والفيض الكاشاني.
- كتاب دررالبحار، وهو كتاب انتخب فيه من بحار الأنوار إلّا أنه يعرف بكتاب نور الأنوار، ولقد ذكر بأنه من أفضل التي لخّصَت كتاب بحار الأنوار.

(٥) المصدر السابق.

- ديوان شعر عربي في مدح ورثاء أهل البيت عليهم السلام والأخلاقيات.
- ديوان شعر فارسي مشابه للديوان العربي.
- روح الأرواح وحياة الأشباح، كرّس فيه أدعية مروية عن الأئمة المعصومين عليهم السلام وغيرهم.
- كتاب بالفارسية بعنوان الكلمات النورية، وهو كتاب في الحكمة يتحدث فيه عن موروث الأولياء.
- مستدرك على كتاب الوافي للفيض الكاشاني، ذُكر هذا الكتاب في الذريعة.
- مصباح الشيخ، كتاب يُعنى في فضل التسبيح وطرقه المأثورة.
- كتاب في الأخلاق والعرفان بعنوان مصفاة الأشباح ومجلاة الأرواح، وكتب منه منتخب بالفارسية بعنوان (مرآة ظهور الحقائق).
- رسالة في التصانيف والمؤلفات.
- كتاب خاص بالمكاتيب والرسائل التي دارت بينه وبين أصدقائه.
- النوادر، كتاب من تسعة أبواب جمع فيه نصائح ومواعظ وحكم الماضين والقصص الغريبة، من أحوال العلماء والكلمات اللطيفة والأشعار، وهو أشبه بكتب الكشاكيل التي نقرأها مثل كشكول البهائي وكشكول البحراني وغيره.

توفي رحمه الله في سنة (١١١٥هـ) تاركاً ورائه ما ذكرناه وما لم نذكر من الجهد العميق ما فيه من العلم الدقيق، والذوق الرقيق. وولداً عالماً مهذباً ليسجّل بذلك منفعةً دنيوية وأخروية مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به من بعده ، أو ولد صالح يدعو له).[٦] ولقد حاز المؤلف جميع هذه المواهب التي قلّ نظيرها بتوفيق إلهي. كانت نتيجة الجهود التي بذلها في مسيرته طوال حياته توفيقاً كبيراً، رحمه الله، ورحم علماءنا الأعلام الذين أوصلوا إلينا علوم ومعارف أهل البيت عليهم السلام والذكر الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

(٦) تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي، ج٢، ص١٢٣.

الحـرب تشريـع قرآنـي

الإسلام دين سماوي لا يُحب سفك الدماء ولا يدعو إلى الحرب ولا يهدف إلى إهلاك الخَلق ولا إلى إبادة البشرية، بل هو رسالة الرحمة ورسالة إنقاذ البشرية وتخليصها من الظلم والعدوان ورسالة نشر السِلم والأمن والأمان، والحرب فيه ضرورة واستثناء لم يشرع القران الكريم الحرب إلّا لحماية الدعوة الإسلامية أو الدفاع عن النفس ودفع الأعداء عن البلاد، ولقد أشار القرآن الكريم بنصوص عدة لإثبات أن الحرب لم تشرع في الإسلام إلّا لحماية الدولة الإسلامية كما قلنا، جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1].

فهذه الآية تحدد سبب اللجوء إلى الحرب في الإسلام، فتجيزها على المسلمين عند الاعتداء عليهم، وهي التي تضع كذلك الوقت الذي يجب أن يلتجئ فيه المسلمون الى السلم، ويكون ذلك بتحقيق الغاية من القتال برفع الظلم ورد الاعتداء.

والحرب في ذاتها سيئة عند عموم الناس؛ لأن فيها تدمير لخلق الله، وتخريب ما يحتاج إليه الناس في معايشهم من النعم.

ونشوء هذه الحالة هي ناتجة عن عداء المشركين وبغيهم على المسلمين، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

وما يدل على دعوة الإسلام للمسلمين في الالتزام بأخلاقيات الحرب والجوانب الإنسانية، فقد فرّق المسلمون في المعاملة بين المحاربين وغير المحاربين، ثم إنّ الإسلام قد وضع نظاماً عادلاً لمعاملة اسرى الحرب لقد تميز الإسلام في الرفق بالأسير وإطعامه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، أما الرهائن والمدنيون والنساء والشيوخ والأطفال، فلم يجز الإسلام الانتقام والغدر المماثل وحرّم قتل الأطفال والشيوخ والنساء والمرضى والعاجزين عن القتال، أو قطع الأشجار أو قتل المواشي خلال القتال.

والحروب التي شهدها العالم منذ القدم وحتى يومنا هذا لم تزل آثارها الوحشية باقية حتى اليوم سواء كانت مادية أو معنوية، فهي خسائر لا يمكن تعويضها خاصة الخسائر البشرية والأرواح، فقد فتكت الحرب بالحياة الإنسانية، وتسببت في ضياع الأمن والاستقرار.

فحين النظر إلى قضية الإمام الحسين عليه السلام، ومعركة الطف التي واجه فيها يزيد لم يكن الهدف منها الحكم، وإنما الإصلاح والدفاع عن الدين الإسلامي، فقبل المغادرة كتب وصية لأخيه محمد بن أبي طالب قال فيها (وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين)[4].

ولهذا قد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين بعدم إيذاء أحد من الناس ولا يخربون البيوت ولا يقطعون الأشجار، فعنه صلى الله عليه وآله: (أغز بسم الله وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ولا تغدروا ولا تغلوا وتمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا متبتلاً في شاهق، ولا تحرقوا النخل ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً لأنكم لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه، ولا تعقروا من البهائم مما يؤكل لحمه إلا ما لا بدَّ لكم من أكله)[5] ،ولقد أصبحت هذه الوصايا فيما بعد دستوراً للمسلمين فيما يباح وما لا يباح للمسلمين من أساليب القتال ووسائل الدفاع عن النفس ورفع الظلم عن البلاد.

---

[1] سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

[2] سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

[3] سورة الانفال،الاية: ٧٠.

[4] بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤٤، ص٣٣٠.

[5] الكافي، الشيخ الكليني ،ج٥، ص٢٩.

انتهاك الحُرمات
في شهر محرم الحرام

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ إِثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السّماواتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾.

قوله تعالى جزء من الآية السادسة والثلاثين من سورة التوبة وفيها لفظية عديدة نذكرها على شكل مطالب.

الشيخ طه حافظ خميس

المطلب الأول

كتاب الله: المراد من كتاب الله، اللوح المحفوظ، أو القرآن، أو المراد حكم الله تعالى. وفيه مثبت عدد الشهور وهي اثنا عشر شهراً. وإنّ الزمان يستدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[1] وإن السنة اثنا عشر شهراً، وتوقفها على رؤية القمر من كلّ الناس المتعلمين والعوام. ومثبت هذا في كتاب الله منذ أيام التكوين الستة.

المطلب الثاني

المراد بالدين القيم، الدين والشرع المستقيم الذي دعا إليه الأنبياء، ومنهم النبي محمد ﷺ إلى اتّباعه، فدين إبراهيم الحنيف هوالدين الذي دعا إليه محمد ﷺ. (وقيل إنّ تحريم الأشهر الأربعة هو الدين المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل ﷺ، أي الحكم والشرع الذي لا التواء فيه ولا اعوجاج). والدين القيم هو المؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة، القائم بالحق، الثابت الأصول.

المطلب الثالث

الظلم ضربان: ظلم النفس وظلم الغير. وظلم النفس قد يكون بالشرك فيكون أقبح ظلم، وكذلك مخالفة التعاليم الإلهية. فالإنسان الذي يظلم نفسه قد يرتكب الفاحشة ليمتع نفسه بها في لحظات نشوة واتباع الهوى ولا يستحضر عقوبتها في الآخرة، وقد يكون يرتكب المعصية ليحقق المتعة لغيره ولا يبالي عقوبة صنيعه، فيكون ممن باع آخرته بدنيا غيره وظلم نفسه بأقبح ظلم. أما ظلم الغير، يعني ظلم الناس بالبغي والآثام والعدوان. والظلم بقسميه محرم.

المطلب الرابع

محرم الحرام: والمُحَرَّمُ: أول الأشهر القمرية وسَمَّتْه العَرَبُ بهذا الاسْمِ؛ لأنَّهم كانوا لا يستَحِلّون فيه القِتالَ، وهو من الأشهر الحرم الأربعة. وتوجه الآية الكريمة موضوع البحث أن يحذر الإنسان بظلم نفسه في هذه الأشهر بانتهاك حرمتها بفعل المحذور. ولا أعرف أي عذر يقدمه قتلة الحسين ﷺ وقد أمعنوا في قتاله واستحلال دمه وهتك حرمته وسبي نساءه وقتل اطفاله، والحسين ﷺ يذّكر القوم أن ارجعوا إلى أحسابكم وأنسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون، لأنّ العرب لم تنتهك حرمة الشهر بقتال، ولو لقي الرجل قاتل أبيه او أخيه لم يتعرض له تعظيماً لحرمة الشهر.

روي عن الامام الصادق ﷺ أنه قال: (إذا هلّ هلال محرم نشرت الملائكة ثوب الحسين ﷺ وهو مخرق من ضرب السيوف، وملطخ بالدماء فنراه نحن وشيعتنا بالبصيرة لا بالبصر، فتنفجر دموعنا)[2].

فاذا هلّ هلال محرم، نصبت مجالس العزاء وأقيمت المآتم حزناً في السماء قبل الأرضين. فهو شهر يعدّ من الشهور الإسلامية ذات الأهمية والقدسية لدى أتباع مدرسة أهل البيت، حيث جرت فيه أحداث معركة الطف الخالدة، واستشهاد الامام الحسين بن علي بن ابي طالب ﷺ، ولهذه الوقعة عظيم الأثر في نفوس شيعة أهل البيت ﷺ إذ يعم الحزن من أوله سائر البلاد، وتتوشح بالسواد معلنة الحداد على سيد الشهداء ومن قتل معه. وجرت العادة على إقامة مآتم العزاء لاستذكار تلك الأحداث المروعة التي جرت على أهل رجال أهل البيت ونسائهم ومن كان برحلهم. ولذا عندما يأتي هذا الشهر تأتي معه تلك الذكريات الأليمة، وتعيش في مشاعرنا، فتحزن لذلك نفوسنا، وتأتي معه صور من واقعة الطف، وتعود الى الذهن صور مما جرى فيها فيكثر الحزن والالم. وكان أهل البيت ﷺ إذا هلّ هلال هذا الشهر يعقدون له المأتم.

عن علي بن إسماعيل عن أبيه قال: (كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد ﷺ إذ أستأذن أذنه للسيد الحميري فأمره بإيصاله وأقعد حرمه خلف ستر. ودخل فسلم فاستشهده قوله: أمرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية...) إلى نهاية القصيدة للسيد الحميري[3]

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

(٢) المجالس العاشورية في المآتم الحسينية، الشيخ عبد الله ابن الحاج حسن آل درويش، ص ١٢.

(٣) أعيان الشيعة، السيد محمد الأمين، ١/٥٨٦.

التكوين الإلهي للشعوب والقبائل

الشيخ جاسم محمد

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

تحدد هذه الآية المباركة ثلاثة سنن قرآنية، الأولى سنّة التكوين الإلهي للشعوب والقبائل، والثانية سنّة التعارف، والثالثة سنة التكريم

سنة التكوين

إن الله تعالى خلق الناس على اختلاف في الألسن والطبائع، وذلك لحكمة أشار القرآن إليها، وهي التعارف. ولو أراد الله أن يجعل الناس أمة واحدة لفعل ذلك. وإلى ذلك أشار القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[1].

هنالك روايات كثيرة حول تاريخ بداية تكوين الشعوب والقبائل. وأغلب المفسرين يذهبون إلى أن تكوين الشعوب والقبائل نشأت في عصر النبي نوح عليه السلام، فكان ابنه سام أبو العرب، ويافث أبو الترك، وحام أبو الحبش. وهنالك آراء أخرى تذهب إلى أن الأقوام البشرية الرئيسية تفرعت من أبناء نوح عليه السلام الثلاثة (سام ويافث وحام). والذي يهمنا في سنّة التكوين ليس بداية نشأة الأقوام والقبائل. فإن معرفة ذلك ليست ذات أهمية كبيرة بقدر معرفة فلسفة تكوين الأقوام.

فهنالك من تحمل الآية معنيين في فلسفة تكوين الإنسان وخلقه على ألسُن وأقوام مختلفة، الأول التعارف، والثاني إرادة الله التي اقتضت خلق الناس على أقوام والسن مختلفة. والتعارف ذكره الله تعالى هدفاً لخلقه الناس على ألسن وقوميات مختلفة.

وأما المعنى الأول، وهو أن القوميات والأقوام لم تكن من صُدَفِ القدر كما يذهب إلى ذلك بعض الناس تعبيراً عن استيائه من قومية ما يكرهها. فوجود الأقوام والشعوب والقوميات ظاهرة إلهية، وسنّة من السنن الإلهية وآية من آيات الله الهدف منها التعارف، والتحابب، والأخوة، والانفتاح، وليس الكره، والتنافر، والقتل، والاقتتال باسم القوميات. فكم من الأرواح زُهقت في معارك قومية وهمية دنيوية باطلة خاضها القوميون الذين جعلوا القومية صنماً ووثناً يقاتلون من أجله، والنتيجة أن أمامهم محكمة إلهية في يوم القيامة، وسوف يحاسبهم الله حساباً عسيراً عن كل قطرة دم سقطت في تلك المعارك.

فظاهرة الأقوام والقوميات ليست من الصُدَف، ولم يجعلها الله مبدأً للتنافر والاقتتال، وإنّما جعلها مبدأً للتجاذب والتحابب والانفتاح والتكامل والتعاون، وسبباً للتسابق في الخير. ولكنّ بعض النفوس الإنسانية المريضة حوّلوا الأقوام والقبائل والقوميات إلى ساحات صراع دموي لأجل مآرب دنيوية قصيرة الأمد.. تنتهي مع انتهاء أعمارهم القصيرة في هذه الدنيا التي هي أيضاً قصيرة قياسا الى الآخرة الخالدة.

التعارف بين الشعوب

إنّ الله تعالى أشار في الآية الآنفة الذكر إلى سنة التعارف الإلهية كهدفٍ لخلقه الشعوب والقبائل. حيث إنّ القرآن الكريم وضع هذه السنة نظاماً لعملية الانفتاح والعلاقات الإنسانية والعلمية والثقافية والتجارية ولجميع أوجه العلاقات بين الأمم لأجل تكامل الشعوب، وفي آية أخرى حدد القرآن الكريم مبدأين لسنة التعارف حيث قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[2]، ففي هذه الآية نظم القرآن عملية التعارف بمبدأين هما: (الانفتاح والانتقاء)

إنّ الانفتاح والتلاقي والتلاقح الثقافي والتبادل التجاري بين الشعوب والقبائل يشجعه القرآن الكريم ولكن ضمن مبدأ الاستماع ومبدأ الانتقاء.

فالقرآن يسمح بالانفتاح والاستماع إلى الآخر والتعرف إلى حضارة الشعوب والأمم الأخرى. وبعد التعارف والانفتاح ينبغي للمسلم والمؤمن بالقرآن أن يطبق مبدأ الانتقاء. فينتقي ما يفيده ويفيد شعبه ويترك ما يضرهم. وعمليه الانتقاء ليست سهلة، فهي تحتاج إلى الوعي والبصيرة والتخصص.

نحن نفهم من سنّة التعارف الإلهية أن الإسلام ليس دين الانغلاق، وإنما هو دين الانفتاح، وقد ذمّ القرآن الكريم المنغلقين على افكار ومعتقدات آبائهم وقبائلهم، ولا ينفتحون إلى العقيدة الأخرى على مستوى السماع والتعرف.

حيث تناول القرآن الكريم حالة انغلاق المنغلقين على أنفسهم في كتابه الكريم. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[3].

الله سبحانه وتعالى دعا الكفار المنغلقين على عقائد آبائهم للتعرف على الإسلام، والانفتاح على عقائده وأفكاره، فرفضوا ذلك، واختاروا التمسك بانغلاقهم على عقائد آبائهم.

أما الكفار الذين كانوا متحررين من حالة الانغلاق الفكري والعقائدي، وقبلوا دعوة الإسلام، وانفتحوا على القرآن، واستمعوا لآياته يتلوها عليهم نبي الإسلام ﷺ، رأوا أنّ الإسلام أصحّ من عقائدهم؛ فآمنوا به عن قناعة. وجاهدوا في سبيل الله من أجل الدفاع عنه، فسنّة التعارف من معطياتها هو أن الانفتاح مبدأ إسلامي، والانغلاق مبدأ الكفار والمشركين. وكل مجموعة فكرية أو مذهبية وإن كانت إسلامية إذا انتهجت سلوك الانغلاق فإنّ ذلك يعني أنها متمسكة بسلوك الكفار. والانغلاق يؤدي بالإنسان المنغلق أو بالمجموعة المنغلقة إلى الهاوية. فعلى الإنسان أن يتنبه إلى أخطائه إذا كان على خطأ من خلال انفتاحه على أفكار الآخرين واستماعه لهم. فيجد أخطاءه عند أفكارهم الصحيحة.

(١) سورة هود، الآية: ١١٨.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٠٤.

صاحب النجوى

إنّ التشريع الإلهي هو فيض قدسي ونعمة ربانية أنزله الله تعالى لإسعاد الإنسان وتكامله، وجعل صفوة خلقه محطاً لنزول هذا الفيض المبارك، حيث بعث الله تعالى الأنبياء وأرسل الرسل عليهم السلام، وعصمهم عن الخطأ وكلّ ما يشين الإنسان، وجعلهم أسوة وقدوة حتى صارت سننهم حجة وهداية على العباد. ثمّ عزز سبحانه وتعالى بعضاً من رسله بكتبٍ، فختمت الشرائع السماوية بخاتم النبيّين محمد صلى الله عليه وآله وبزغ نور الإسلام بالمعنى الأخصّ؛ قال تعالى:﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]. وقد شرع الله تعالى في القرآن الكريم تشريعات حكيمة، موافقة لفطرة الإنسان، وملبية لمتطلباته المادية والروحية، ويعد هذا نوعاً من أنواع الإعجاز القرآني المعروف بالإعجاز التشريعي، وهو المنهج الذي أراده الله تعالى لعباده أن يسلكوه ويأتمروا به. ومن تلك التشريعات التي ذُكرت في القرآن الكريم ثم ألغي العمل بها، هي إلزام المسلمين الأغنياء بأن يدفعوا صدقة قبل نجواهم (إسرارُ الحديث) مع النبي محمد صلى الله عليه وآله. قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً، ذلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾[2].

والآية أنزلت عندما كان عدد من أثرياء المسلمين في المدينة يأتون إلى النبي صلى الله عليه وآله، ويناجونه (يسرّونه بالقول) حتى في أبسط الأمور، وبذلك يأخذون دور فقراء المسلمين في الكلام مع النبي صلى الله عليه وآله، وكان هذا التصرّف يؤذي الفقراء المستضعفين، ويشعرهم بحالة من الحزن وعدم الارتياح، وكان هذا التصرف يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً، ويزعجه كثرة كلامهم وإطالة جلوسهم عنده. وكان دافع هؤلاء إظهار نوع من التقرّب إليه صلى الله عليه وآله، والاختصاص به صلى الله عليه وآله من أجل الحصول على تحقيق امتياز لأنفسهم على حساب الآخرين. وقد غفلوا عن حقيقة أنّ وقت النبي صلى الله عليه وآله أثمن من أن يضيّع ويهدر في قضايا بسيطة أو لا أهميّة لها.[3] فأمر الله تعالى بحكم دفع الصدقة عند مناجاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، فنزلت آية النجوى والتي عرفت أيضاً بآية المناجاة.[4]

إنّ سبب وجوب الصدقة على من يريد النجوى بالنبي صلى الله عليه وآله هو أن تكون النجوى أطهر للمسلمين؛ ولأنّ الصدقة من جهة تعود على صاحبها بالخير والثواب، وتكون وسيلة لإعانة الفقراء، ومن جهة أخرى تطهّر نفوس الأغنياء من حبّ المال وقلوب المحتاجين من الحزن الذي اعترضهم.[5] ويمكن أن يكون سبب تقديم الصدقة من قِبَل الأغنياء قبل مناجاتهم النبي صلى الله عليه وآله هو تأليف القلوب بين الأغنياء والفقراء وإزالة الشحناء فيما بينهم.[6] ويمكن أن يكون سبب دفع الصدقة هو إجلال مقام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وإعظام المناجاة والكلام معه، وانتفاع الفقراء بالصدقة، وتكريمهم وإعلاء شأنهم، وذلّ الأغنياء لامتناعهم من أداء الصدقة قبل المناجاة، ومنح فرصة للنبي صلى الله عليه وآله لقضاء حوائجه الشخصية، وأداء العبادات؛ وأن يُختبر المسلمين بمال الدنيا.[7]

إنّ لحكم الصدقة في آية النجوى تأثيراً عجيباً وامتحاناً رائعاً، حيث أفرزه على صعيد الواقع من قبل المسلمين في ذلك الوقت، وكان محكاً للذين يزعمون قربهم من النبي صلى الله عليه وآله، فقد استفاضت الروايات من الطريقين على أن الجميع أبى إعطاء الصدقة والنجوى سوى شخص واحد، وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي عمل بمضمون آية النجوى. وهنا تبيّن ما كان يجب أن يوضّح ويفهمه المسلمون ويعتبروا به، وأخذوا منه الدرس البليغ.[8]

أخذ المسلمون درساً عندما أعرضوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وآله إشفاقاً من الصدقة، وحرصاً على المال.[9] فلم يناجه أحد منهم إلاّ أمير المؤمنين عليه السلام فقد ناجاه عشر مرات، وكلّما ناجاه قدم بين يدي نجواه صدقة. قال أمير المؤمنين عليه السلام: (آية من كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، هي آية النجوى، فكان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكنت إذا جئت إلى النبي صلى الله عليه وآله تصدقت بدرهم، فنسخت فلم يعمل بها أحد قبلي)[10]. لذا نزلت الآية اللاحقة ونسخت الحكم حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَاةَ وَآتُواْ ٱلزَّكَاةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[11].

وقد رأى بعض المفسرين أنّ الحكم الذي في الآية كان مؤقتاً منذ بداية نزولها؛ لأنّه كان اختباراً للمسلمين، ومع انتهاء الاختبار نُسخت الآية، وهو اختبار الأفراد المدّعين الذين يتظاهرون بحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الوسيلة، فاتضح أنّ إظهار الحبّ هذا إنما يكون إذا كانت النجوى مجانية، ولكن عندما أصبحت النجوى مقترنة بدفع مقدار من المال تركوا نجواهم. مع ملاحظة أنّ استمرار وجوب دفع الصدقة قبل النجوى مع الرسول صلى الله عليه وآله يستوجب الوقوع في مشكلات في المجتمع الإسلامي، لأنّه كانت تحدث جملة قضايا ضرورية، ويلزم معها أن يطّلع عليها شخص النبي صلى الله عليه وآله، وإذا استمر حكم وجوب الصدقة لكانت تلك الضرورات في مهبّ الضياع، ويعود بالضرر على بعض أفراد المجتمع الإسلامي أو على المجتمع ككل.[12]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ١٢.
(٣) ينظر كتاب روح المعاني، الآلوسي، ج١٤، ص٢٢٤.
(٤) نهج الحق وكشف الصدق، العلامة الحلي، ص١٨٢.
(٥) ينظر كتاب تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، ج١٨، ص١٣٦.
(٦) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج١٩، ص١٨٩.
(٧) التفسير الكبير، الرازي، ج٢٩، ص٤٩٥.
(٨) مجمع البيان، الطبرسي، ج٩، ٤١٩. تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، ج١٨، ص١٣٦.
(٩) الدر المنثور، السيوطي، ج٦، ص١٨٥.
(١٠) جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ج٢٨، ص٢٧.
(١١) سورة المجادلة، الاية١٣.
(١٢) تفسير الأمثل، مكار الشيرازي، ج١٨، ص١٣٩.

فوائد العسل

في القرآن الكريم

بقلم: عباس علي بوربافراني، الدراسات الطبية في وزارة الصحة والدراسات الطبية في طهران- إيران، وآخرون.

ترجمة: رياض عبد الغني الحسن

العسل

العسل مادة شديدة الحلاوة ينتجها نحل العسل من رحيق الأزهار، ويستخدمها الإنسان مادة محلّية للطعام ومادة مضافة إليه. يشكل الماء ما بين ١٧-٢٠٪ من العسل، بينما تدخل في تركيبه مواد الكلوكوز والفركتوز وحبوب اللقاح والشمع والأملاح المعدنية مجتمعة بنسبة ما بين ٧٦-٨٠٪. وتختلف تركيبته ولونه باختلاف نوع الزهور المجهزة للرحيق. فمثلاً نجد أن البرسيم والبرسيم الحجازي نتاجهما عسل أبيض، ونبات الخلنج[١] نتاجه عسل بلون قهوائي ضارب إلى الحمرة، ونبات الخزامى[٢] نتاجه عسل بلون العنبر، أما نتاج نبات الأكاسيا[٣] ونبات السنفون[٤] فيكون باللون التبني.

(١) الخلنج: نبات تُنحت من خشبه الأواني، له أزهار وردية اللون (انظر: المعجم الغني لعبد الغني أبو العزم) (المترجم).

(٢) الخزامى: نبات من فصيلة الشفويات ذو ألياف طويلة السيقان، رائحته طيبة وألوانه متعددة. (انظر: المعجم الغني لعبد الغني أبو العزم) (المترجم).

(٣) الأكاسيا: شجرة ذات أغصان شائكة، أزهارها بيضاء أو وردية، طيبة الرائحة. (انظر: معجم الرائد لجبران مسعود) (المترجم).

(٤) السنفون: نبات أسيوي - أوربي معمر من البقوليات، يستزرع على نطاق واسع ويستخدم محصولاً علفياً، أزهاره وردية باهتة اللون. (انظر: معجم كولنز) (المترجم).

تاريخ العسل

تعدّ عملية جمع العسل من النشاطات القديمة في التاريخ. إذ يظهر أنّ الإنسان بدأ بحثه عن العسل قبل ٨٠٠٠عام كما تظهره الرسومات التي وجدت في الكهوف في مدينة فالنسيا في إسبانيا. وهو رسم على صخرة تعود إلى العصر الحجري الأوسط، يظهر باحثين عن العسل يجمعونه ويجمعون شمعه من خلية نحل برية. وتصور اللوحة أشخاصاً يحملون سلالاً أو يقطيناً ويستخدمون سلّماً أو سلسلة من الحبال للوصول إلى الخلية البرية.

ويقوم الطائر الذي يعرف باسم «دليل العسل الأكبر» بإرشاد الإنسان إلى خلايا النحل البرية، وقد يكون هذا السلوك قد تطور منذ نشوء المجاميع الإنسانية الأولى.

وقد عُثر إلى الآن على بقايا قديمة من العسل في جورجيا. لقد عثر علماء الآثار على بقايا من العسل على السطوح الداخلية للأواني الفخارية التي استخرجت من قبر قديم يعود تاريخه إلى ما بين ٤٧٠٠-٥٥٠٠ عام. أما في جورجيا القديمة فقد كان العسل يُعبّأ لرحلات الناس إلى عالم ما بعد الموت. وكان يجمعون لهم أكثر من نوع واحد من العسل، لتكون تشكيلة متنوعة من عسل الزيزفون والتوت وزهور الحديقة.

هذا وقد استخدم العسل قبل أكثر من أربعة آلاف سنة في الطب الهندي التقليدي القديم، إذ اعتقدوا أنه فعّال في علاج الاختلالات المادية في الجسم.

- في العهود المصرية القديمة جداً، استخدم العسل موضعياً لمعالجة الجروح.
- كما استخدم المصريون قبل أكثر من خمسة آلاف سنة العسل في مركباتهم الدوائية.
- وكان اليونانيون يعتقدون أن تناول العسل يمدّ في عمر الإنسان.
- وحتى النبي محمد ﷺ أثنى على قوة الشفاء التي يتمتع بها العسل.

كما أثنى القرآن الكريم على قدرة العسل على الشفاء.

خصائص العسل

وللعسل تاريخ طويل في الاستهلاك البشري، فهو يدخل في مختلف الأطعمة والأشربة لإضفاء النكهات وحلاوة المذاق عليها. كما إنّ له دوره في مجال الدين والرمزية. تتباين طعوم العسل باختلاف مصدر الرحيق، كما إن هناك أنواعاً ومراتب مختلفة من العسل. وقد دخل استخدامه أيضاً في أعراف الناس المتنوعة في مجال علاج الأمراض. يتكون العسل من الكلوكوز والفركتوز، والمعادن مثل الحديد والكالسيوم والفوسفات وكلوريد الصوديوم والبوتاسيوم والمغنيسيوم.

وفيما يلي تعريف نموذجي بالعسل وفق ما ذكره موقع Beesource الإلكتروني:

- الفركتوز: ٣٨,٢٪
- الكلوكوز: ٣١,٣٪
- المالتوز: ٧,١٪
- السكروز: ١,٣٪
- الماء: ١٧,٢٪
- سكريات عالية: ١,٥٪
- رماد: ٠,٢٪
- أخرى/ غير محددة: ٣,٢٪.

إن مستوى الأس الهيدروجيني pH القليل الحامضية للعسل (ما بين ٣,٢ و٤,٥) هو الذي يساعد على نمو البكتريا، بينما تقوم عناصره المضادة للأكسدة بتنظيف الجذور الحرة. تختلف خصائص العسل الفيزياوية باختلاف نوع النبات المستخدم في إنتاجه، وكذلك محتواه المائي. وبالفعل, فقد وثّقت أدبيات الطبّ القديمة في العالم الأهمية الدوائية للعسل، وقد كان معروفاً عنه منذ أقدم العصور احتواؤه على خاصية كونه مبيداً للجراثيم ومادة فاعلة تساعد في التئام الجروح.

لقد استخدم الطب التقليدي في علاج الأمراض منذ ظهور الإنسان، ويعدّ نحل العسل الغربي (Apis mellifera) هو أحد أقدم الأدوية التقليدية الذي كان يحتلّ أهمية في علاج عدة من الأمراض التي تصيب الإنسان. وفي عصرنا الحاضر، كشف العديد من الباحثين عن الفاعلية المضادة للبكتريا التي يتمتع بها العسل، ووجدوا أنّ العسل الطبيعي غير المعرض للتسخين له نشاط مضاد للبكتريا واسع النطاق عندما خضع للاختبار في مواجهة البكتريا المسببة للأمراض والبكتريا الفموية وكذلك البكتريا المسببة لتلف الطعام. وقد استخدم العسل في معظم الثقافات القديمة لأغراض طبية ولأغراض تعنى بالتغذية. إنّ الاعتقاد بأن العسل مادة مغذّية ودواء ودهان قد انتقل إلى أيامنا هذه، وبذلك استحدث في السنوات الأخيرة فرع في الطب بديل يدعى (العلاج بالنحل Apitherapy) هو يقدم طرقاً في العلاج ترتكز على العسل ونتاجات النحل الأخرى في معالجة العديد من الأمراض بما فيها الإصابات البكتيرية.

يعدّ العسل علاجاً قديماً للجروح الملوّثة، وهو أمر «أعيد اكتشافه» مؤخراً بفضل مهنة الطبّ، وخاصة بعد قصور العوامل العلاجية المعاصرة التقليدية عن ذلك. وقد كانت الإشارة المكتوبة الأولى إلى العسل في لوحة سومرية يعود تاريخها إلى ٢١٠٠-٢٠٠٠ عام ق.م، تذكر استخدام العسل بصفته دواءً ودهاناً. وعندما ناقش أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) مختلف أنواع العسل، أشار إلى العسل الشاحب اللون على أنه «ينفع أن يكون مرهماً للالتهاب العيون والجروح». وقد عُرف عن عسل مانوكا تمتعه بنشاط مكافح للجراثيم إذا استخدم في مكافحة البكتريا المسببة للأمراض مثل المكورات العنقودية الذهبية (Staphylococcus aureus) وبكتيريا الملوية البوابية (Helicobacter pylori) مما يجعل هذا النوع من العسل غذاء فعّالا وواعداً في علاج الجروح أو قرحات المعدة.

كما أفادت تقارير عديدة عن فعالية العسل الكبيرة في تضميد الجروح والحروق وقروح الجلد والالتهابات، إذ ظهر أنّ خصائص العسل المضادة للبكتريا تسرّع في نمو الأنسجة الجديدة التي تؤدي الى شفاء الجرح. وقد ظهر أن للعسل الطبي وعسل مانوكا نشاطاً داخل الجسم الحي نافعاً في علاج القرحات والجروح المصابة بالالتهاب والحروق.

الطب التقليدي

من الناحية التاريخية استخدم الانسان العسل فتناوله عن طريق الفم واستخدمه موضعياً لعلاج مختلف الأمراض، منها الاضطرابات المعوية والقرحة، والجروح والحروق.

لقد استخدم اليونانيون والمصريون القدامى العسل في مجال الطب، وقد كان استخدامه معروفاً في الطب الهندي القديم أيورفيدا، وكذلك في الطب الصيني التقليدي القديم.

والقرآن الكريم يذكر استخدام العسل دواءً.

(١٩,٢٠) البلدان المنتجة والمستهلكة للعسل:في عام ٢٠١٢، الصين، وتركيا، وأوكرانيا كانوا في قمة منتجي العسل الطبيعي (الجدول ١).

الجدول (١): البلدان الخمسة الأولى في إنتاج العسل الطبيعي (بالطن المتري)

الترتيب	البلد	٢٠١٠	٢٠١١	٢٠١٢
١	الصين	٤٠١,٠٠٠	٤٣١,٠٠٠	٤٣٦,٠٠٠
٢	تركيا	٨١,١١٥	٩٤,٢٤٥	٨٨,١٦٢
٣	الأرجنتين	٥٩,٠٠٠	٧٤,٠٠٠	٧٥,٥٠٠
٤	أوكرانيا	٧٠,٨٧٣	٤٠,٣١١	٧٠,١٣٤
٥	الولايات المتحدة	٨٠,٠٤٢	٦٧,٢٩٤	٦٦,٧٢٠
-	العالم	١,٢٢٢,٦٠١	١,١٦٩,٤٤١	١,٢٦٠,٢٢٩

يعتبر العسل محلولاً مركزاً من أنواع السكر لزجاً ينتجه النحل (نحل العسل الغربي Apis mellifera) الذي يقوم بجمع رحيق الأزهار ومعالجته (عسل الأزهار أو عسل النبات) أو العصائر الحلوة من أنواع معينة من النباتات (عسل المنّ أو عسل الغابة). ويعدّ العسل من أعقد المنتجات البايلوجية الطبيعية وأثمنها مما استخدم منذ أقدم العصور، سواء أكان في مجال التغذية أم الطب (عبر الوسائل الداخلية والخارجية).

من بين الاستخدامات الطبية الأخرى، كان العسل مستخدماً في علاج الجروح من العصور القديمة.

- ففي الحضارة السومرية (من خلال كسور آنية فخارية يعود تاريخها الى ٢١٠٠-٢٠٠ ق.م)
- وفي الحضارة المصرية القديمة (من خلال بردية أدوين سميث التي يعود تاريخها الى ٢٦٠٠-٢٢٠٠ ق.م).
- الطب الهندي القديم والطب الصيني.
- الحضارة اليونانية القديمة (كتاب المقالات الخمس الذي ألفه ديسقوريدوس
- الخاص بعلاج جروح الناسور؛ أبوقراط)
- الحضارة الرومانية القديمة (بلينيوس، في علاج الجروح الملتهبة)
- موارد ذكر في الإنجيل والقرآن.

لقد أظهرت التجارب العشوائية أن العسل أكثر فعالية في السيطرة على الالتهاب في إصابات الحروق من مادة سولفادايازين الفضة، وهو الدهان المضاد للبكتريا الأوسع استخداماً في علاج الحروق في المستشفيات.

المساعدة في تكون الدم

يوفر العسل جزءاً مهماً من الطاقة اللازمة للجسم لتكوين الدم. إضافة إلى أنه يساعد على تنقية الدم. وله آثار إيجابية في تنظيم الدورة الدموية وتسهيلها. وهو يعمل واقياً أيضاً من مشاكل الأوعية الشعرية وتصلب الشرايين.

لا يؤوي البكتريا

إن خاصية العسل في قتله البكتريا تسمى «الأثر التثبيطي». هنالك أسباب متنوعة لهذه الخاصية المضادة للبكتريا في العسل. بعض الأمثلة هي المحتوى العالي للسكر الذي يحدّ من كمية الماء التي تحتاجها الأحياء المجهرية للنمو، وحموضتها العالية (انخفاض الأس الهيدروجيني) والتركيب الذي يحرم البكتريا من النتروجين الضروري لعملية تكاثرها. إنّ وجود بيروكسيد الهيدروجين إضافة إلى مضادات الأكسدة في العسل يمنع نمو البكتريا.

مضاد الأكسدة

كل من يرغب في أن يحيا حياة يتمتع فيها بالصحة عليه أن يتناول مضادات الأكسدة. وتلك المواد عناصر في الخلايا تخلص الجسم من النتاجات العرضية الضارة من الوظائف الأيضية الاعتيادية. كما إن هذه العناصر تمنع ردود الفعل الكيمياوية المدمرة التي تؤدي إلى تلف الغذاء والعديد من الأمراض المزمنة. ويعتقد الباحثون أن المنتجات الغذائية الغنية بالمضادات الحيوية قد تمنع حصول مشاكل القلب وتمنع السرطان. ويحتوي العسل في مكوناته على مضادات أكسدة قوية هي: البينوسمبرين، البينوباكسين، والكريسين، والغالاغين. والبينوسمبرين Pinocembrin هو من مضادات الأكسدة التي ينحصر وجودها في العسل.

مستودع المعادن والفيتامينات

يتكون العسل من سكريات مثل الكلوكوز والفركتوز والمعادن مثل المغنيسيوم والبوتاسيوم والكالسيوم والصوديوم والكلورين والكبريت والحديد والفوسفات. ويحتوي على فيتامينات B١ وB٢ وC وB٦ وB٥ وB٣ وهي كلّها تتغير وفقاً لنوعية الرحيق واللواقح. وإلى جانب ما جاء آنفاً، يوجد أيضاً النحاس واليود والزنك، وإن كان وجودها بكميات قليلة.

استخدام العسل في علاج الجروح

* يسهل العسل عملية شفاء الجروح عند استخدامه في معالجتها بفضل قدرته على امتصاص الرطوبة ويمنع ظهور الندب. ذلك لأنّ العسل يحفّز نموّ الخلايا الظهارية التي تعمل على تكوين الغطاء الجلدي الجديد على الجرح المتعافي. وبهذا نجد أنه حتى في حالات الجروح الكبيرة، يغني العسل عن الحاجة إلى عمليات ترقيع الأنسجة.
* إذ يحفّز العسل عودة نمو النسيج المعالَج.
* فهو يحفّز نموّ شعيرات دموية جديدة ونموّ أورمات ليفية تحلّ محلّ النسيج الضامّ لأعمق طبقة من الجلد ويتولى إنتاج ألياف الكولاجين التي تعزّز من عملية الإصلاح.
* ويؤدي العسل عمل مضاد للالتهابات يقلل من الانتفاخ الذي يحيط بالجرح. وهو بهذا يحسن من الدورة الدموية التي تسرّع بدورها من عملية الشفاء. كما يعمل على تخفيف حدّة الألم.
* والعسل لا يلتصق بأنسجة الجرح التحتانية، ولذا لا يتعرض النسيج الحديث البناء إلى التهرؤ ولا يسبب الألم عند تغيير ضماد الجرح.
* وبفضل خاصيته المضادة للميكروبات، يوفّر مانعاً يقي الجروح من الإصابة بالالتهاب. كما يقضي أيضاً على أي التهاب يحصل بسبب الجروح. وله فاعلية تامة حتى مع وجود سلالات بكتيرية مقاومة. وعلى خلاف الحال عند استخدام المواد المطهّرة والمضادات الحيوية، لا ينطوي العلاج بالعسل على آثار ضارة على أنسجة الجرح.

معجزة العسل في القرآن الكريم

قبل أكثر من ١٤٠٠ عام أخبرنا الله تعالى ورسوله أن العسل بإمكانه علاج مختلف المسائل الطبية. فقد وصف القرآن الكريم العسل بأنه مصدر من مصادر الشفاء. ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٢٨-٢٩).

وقد ذكر كذلك على أنه أحد أطعمة الجنة: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى...﴾ (محمد: ١٥)

وعلى الرغم من شفاء العسل لمختلف الأمراض، لكن يجب توخي الحذر من أمور معينة:

* لا يقدم العسل للأطفال ممن هم دون العام الواحد من العمر خوفاً من إصابتهم بتسمم الرضع. قد يكون هذا النوع من التسمم الغذائي مميتاً، لكن يظهر أنه لا يؤثر إلا في الأطفال الذين لم يكملوا عاماً واحداً من العمر.
* وإذا كنت على علم بوجود أي حساسية لديك تجاه نبات معين فعليك أن تتأكد من أن العسل الذي تستخدمه ليس من إنتاج ذلك النبات.
* ومن كانت لديه حساسية من لسعات النحل عليه أن يكون حذراً عندما استخدامه منتجات النحل مثل العكبر أو الهلام الملكي.

فإذا أخذت التحذيرات هذه في الحسبان، فسيكون العسل مصدر شفاء لك.

الخاتمة

يمكن أن يمثل العسل المضاد الحيوي الجديد في القرن الحادي والعشرين. وقد أثبتت آلاف الدراسات والتجارب ذلك. على أن القرآن الكريم سبق في إثبات ذلك قبل ١٤ قرناً. وهذا -بلا شكّ- من معجزات القرآن الكريم التي كشفها الله سبحانه وتعالى فيه.

وقد ثبت -دون منازع- صدق ما قاله الله تعالى من احتواء العسل على الشفاء والدواء. والقرآن الكريم يحوي في ثناياه الكثير من البيانات والمفاهيم العلمية. ومما يثير الإعجاب أن جميع تلك البيانات والمفاهيم العلمية قد ثبت توافقها مع ما يقوله العلم والكشوفات العلمية في عالمنا المعاصر.

المصدر:

https://www.researchgate.net/publica-The_Benefits_of_Ho-_266832372/tionney_in_Holy_Quran

رأس الحسين عليه السلام يقرأ القرآن

مرتضى صباح العميدي

إنَّ تمعن المؤمن الموالي لأهل البيت عليهم السلام والمحب لسيد الشهداء عليه السلام، وتفكره في هذه الشخصية الإلهية الفذة، والغور في أسرارها والنظر إلى كثرة معاجزها الخارجية التي حصلت وما زالت مستمرة وما خفي كان أعظم، منذ شهادته المقدسة سيقف مبهوراً ومتعجباً من عظمة هذا الإمام المعصوم وكثرة الأسرار التي تحف به وكأنه القطب الأوحد في الإسلام، وعليه الثقل الأعظم لتثبيت هذا الدين، وهذا ما سمحت به نفسه المقدسة الطاهرة، إذ يقول وهو يجود بنفسه عندما سقط من على ظهر جواده في ظهيرة يوم عاشوراء إلهي إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى، هذا يدل على ذوبان الإمام الحسين عليه السلام في هذه القضية الإلهية، التي ثبت مبادئها وارساها على الأرض بدمائه الطاهرة ودماء النخبة من أهل بيته عليهم السلام وأصحابه البررة رضي الله عنهم.

إنَّ الإمام الحسين بن علي عليه السلام وإن لم ير شخصه إلّا أنه حاضر في كل المواقف وكل الأحداث ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1]،وهذه الأسرار لم يطلع عليها أحد إلّا المعصوم نفسه، فهي من العلوم الغيبية التي تفوق مقدرة الإنسان العادي، وإنما يتصدى لها من له دراية بعالم الملكوت الذي يسمى: بعالم الأرواح، وعالم الأفعال، وعالم الغيب والباطن، لأنه خارج عن هذا الجسد القاصر عن إدراك حقائق الغيب، لذلك نطق رأس الإمام الحسين عليه السلام، وهو مرفوع على الرمح وهو يدار به في أزقة الكوفة، تشير الروايات إلى أن رأس الإمام الحسين عليه السلام، قد تلا القرآن الكريم في مواضع عدة، منها ما يذكره المحقق السيد عبد الرزاق المقرم: (لم يزل السبط الشهيد حليف القرآن منذ أن أنشأ الله كيانه، لأنهما ثقلا رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفتاه على أمته، وقد نصَّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بأنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، فبذلك كان الحسين عليه السلام غير مبارح تلاوة القرآن طيلة حياته)[2]،

وحتى بعد مماته وروى أَبو مِخنف عن الشعبي أَنه صلِب رأس الحسين عليه السلام بالصيارف في الكوفة، فتنحنح الرأس، وقرأ سورة الكهف إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ فلم يزدهم ذلك إلا ضلالاً، ورد في الأثر أنهم لما صلبوا رأسه على الشجرة سمع منه ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ وسمع أيضاً في دمشق يقول ﴿لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾. وسمع أيضاً يقرأ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ فقال زيد بن أرقم: أَمْرُكَ أَعْجَبُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[3]، قال هلال بن معاوية: (رأيت رجلا يحمل رأس الحسين عليه السلام والرأس يخاطبه: فرّقت بين رأسي وبدني، فرّق اللّه بين لحمك وعظمك، وجعلك آية ونكالا للعالمين. فرفع السوط وأخذ يضرب الرأس، حتى سكت)[4].

هناك رأس نطق قبل رأس الإمام الحسين عليه السلام وهو رأس نبي الله يحيى بن زكريا عليه السلام، وهناك رأس نطق بعد رأس الإمام الحسين عليه السلام هو رأس التابعي سعيد بن الجبير. أما الموضع الذي تكلم فيه رأس نبي الله يحيى عليه السلام حين أراد الملك أن يتزوج ابنة أخت له في زمن النبي يحيى عليه السلام، فحرم النبي ذلك الزواج، فأمر الملك بقطع رأسه، بعدها قال الرأس (إنها لا تحل له ولا يحل لها)[5]. وأما الموضع الذي تكلم فيه رأس التابعي سعيد بن جبير حينما قتله الحجاج (لعنه الله) صبراً، عن خلف بن خليفة قال: حدّثني بوّاب الحجّاج قال: رأيت رأس سعيد بن جبير بعدما سقط إلى الأرض يقول: لا إله إلّا الله.

أما المواضع التي نطق بها رأس الإمام الحسين عليه السلام، فهي سبع مواضع، لمّا حُمِلَ الرأس الشريف إلى دمشق ونصب في مواضع الضيافة وهناك لغط المارة وضوضاء العاملين فأراد سيد الشهداء توجيه النفوس نحوه ليسمعوا عظاته فتنحنح الرأس تنحنحاً عالياً، فاتجهت إليه الناس واعترتهم الدهشة حيث لم يسمعوا رأسا مقطوعاً يتنحنح قبل يوم الحسين عليه السلام، فعندها قرأ سورة الكهف إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾. وصلب على شجرة فاجتمع الناس حولها ينظرون إلى النور الساطع، فأخذ بقراءة: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[6].

عن المنهال بن عمرو: (رأيت رأس الحسين بدمشق على الرمح وأمامه رجل يقرأ سورة الكهف حتى إذا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ نطق الرأس بلسان فصيح: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي)[7]، ولما أمر يزيد بقتل رسول ملك الروم حيث أنكر عليه فعلته، نطق الرأس الشريف بصوت مرتفع: (لا حول ولاقوة إلا بالله)[8].

لقد وردت هذه الموارد في كتاب (الحسين في الفكر المسيحي) لأنطوان بارا (ص ١١٠-١١١) وهي بدون ترقيم لأنه ليس بصدد الحديث عن العدد بينما ذكرها السيد الشهيد محمد الصدر الثاني بالترقيم وهي سبعة مواضع. أي والله رأسك أعجب من أصحاب الكهف، كيف لا وأنت ربيب الوحي، وخامس أصحاب الكساء، وسبط من الأسباط، فلعن الله أمة جهلت مقامك وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.
(٢) مقتل الإمام الحسين، عبد الرزاق المقرم، ص٣٤٨.
(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤٥، ص٣٠٤.
(٤) مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني، ج٤،ص١٠٠.
(٥) درج الدرر في تفسير القرآن الكريم، عبد القاهر الجرجاني، ج٢، ص٣٢٢.
(٦) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.
(٧) بحارا الأنوار ، العلامة المجلسي، ج٤٥، ص١٨٨.
(٨) مقتل الحسين عليه السلام المقرم، عبد الرزاق المقرم، ص٣٥١.

وماذا بعد يا جماعة السوء؟

"النتيجة الطبيعية لتجرد الإنسان من كل قيمه وأخلاقه وفقده لإنسانيته، أن يصبح كالبهيمة البكماء التي يتساوى عندها ما يخرج من فيها وما يخرج من جوفها، بل لعله يصبح أخس منها قدراً وأحط مكانة: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾"

الأنعام لا تتعدى حدود ما قدّر الله لها إلى مخالفة فطرتها، في حين نجد الإنسان الجاحد المتمرد على فطرته، الذي اعتاد أن يخلع عن نفسه هيمنة الضمير، بعدة ممارسات ومرتكبات من الذنوب، قد يحسبها ابتداءً هينة بسيطة معفو عنها، حتى تحيط به وتخرجه عن جملة دين الله، فتصبح نفسه كالأرض الشنعاء التي لا تألفها إلا آفات الفتن ومغنى الشر والإحن، فيسرف على نفسه إلى حد أن لا يجد حدود يقف عندها في تماديه، ولتصبح الجرأة الوقحة مستساغة عنده، ولو كانت على الله ورسوله، ومثل هذا وأمثاله يرمون تورعهم وراء ظهورهم، حال رمي رسول الله ﷺ بالتهم والبهتان، ومن جرأتهم على رسول الله ﷺ وصفهم زواجه من صفية بنت حُيي بن أخطب، بأنه أقرب إلى السفاح منه إلى النكاح، حجتهم في ذلك، أنهم استوعبوا النصوص التاريخية التي وصلت إليهم عن طريق المؤرخين، فوجدوا أن هذا الحدث لا ينسجم مع أخلاقيات الأنبياء والمرسلين.

ولا لوم عليهم إذ وجدوا في كثير من كتب السير والغزوات وكتب الأحاديث ما ينمي شره العداوة لرسول الله ﷺ في نفوسهم والشك برسالته، من قبيل رواية زواجه من صفية بنت حيي، والتي تصور رسول االله ﷺ على أنه رجل شبق ليس له هم سوى إشباع رغباته ونزواته، رجل مهوس بالنساء والجواري لحد أنه يتلذذ بنكء جراح الأيامى والثواكل، فيعرس بهن على أشلاء ذويهن.

وسوف نذكر الرواية بالمضمون، ليتبين كيف يدس على رسول الله ﷺ بقصد المساس بشخصه العظيم، فبعد فتح خيبر وانتصار المسلمين على يهود خيبر، وقتل المقاتلة من رجالهم وسبي نسائهم، جاء دحية الكلبي إلى رسول الله ﷺ طالباً منه أن يعطيه إحدى جواري السبي، فأذن له رسول الله ﷺ بأن يختار واحدة منهن، فوقعت عينه على صفية فاختارها من بين الأسارى، إلا أن رجلاً من المسلمين، جاء يخبر رسول الله ﷺ أن دحية الكلبي اختار ابنة سيد يهود خيبر، وأن بنت الملوك لا تليق إلا برسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ يعاينها فرآها جميلة ذا هيبة ووقار فأعجبته، فرمى رداءه عليها، اشعاراً منه بأنه قد اختارها لنفسه، وأمر دحية أن يختار غيرها.

هذه مجمل الرواية، والرواية فيها مداليل الإساءة لرسول الله واضحة للعيان، المدلول الأول: أن حروب رسول الله ﷺ وغزواته ما هي إلا نسخة مستنسخة عن حروب الجاهلية وغزواتها، ذات الطابع الوحشي القائم على القتل والنهب والسلب واسترقاق الإماء وسبيهن، المدلول الثاني: تصور الرواية كما قلنا آنفاً إن رسول الله ﷺ رجل ذا رغبات وشهوات جامحة اتجاه النساء لا يشبعها إلا بافتعال الحروب والغزوات؛ لاسترقاق الإماء وسبي النساء ليستأثر منها ما يشاء لنفسه، المدلول الثالث: أن رسول الله منزوع الرحمة مجرد عن العاطفة الإنسانية؛ لأنه يبني على امرأة مفجوعة بأهلها قد قتل كل ذويها، المدلول الرابع: أن رسول الله يخالف ما جاء به من شرائع وأحكام فهو رجل متناقض، إذ يأمر المسلمين بأن يكون النكاح عن توافق وقبول وهو يعرس بامرأة منكوبة من دون أن يأخذ رأيها بالقبول والموافقة.

انظر لهذه الروايات المسيئة الموضوعة على رسول الله ﷺ، كيف تفعل فعلها في تأجيج النفوس ضد رسول الله ﷺ، ولا غرابة أن تظهر بين الفينة والأخرى إساءات هنا وهناك تنال من رسول الله ﷺ، فمادتها بلا شك مثل هذه الروايات، ولم تأتِ مقولة (أن نبي الإسلام هو نبي السيف والنساء) من فراغ، فالغرب قد استشرف كل ما كتب من قبل مؤرخي الإسلام من روايات موضوعة مسيئة لرسول الله ﷺ، وعليها بنا تصوره عن هذا النبي.

والحال أن الرواية الصحيحة على النقيض من تلك الرواية الموضوعة، فقد جاء فيها أن أمير المؤمنين بعد فتح حصون خيبر وانتصاره الساحق على يهود خيبر (وأخذ فيمن أخذ صفية بنت حيي، فدعا بلالاً فدفعها إليه وقال له: لا تضعها إلا في يدي رسول الله ﷺ حتى يرى فيها رأيه، فأخرجها بلال ومرّ بها إلى رسول الله ﷺ على القتلى وقد كادت تذهب روحها! فقال لبلال: أنزعت منك الرحمة يا بلال! ثم اصطفاها ثم أعتقها وتزوجها)[1].

انظر مضمون هذه الرواية وقارنها مع تلك، لترى الفرق في نقل المؤرخين للحدث وتكييفه حسب رغباتهم الدنيئة، وسبحان الله كأنّ هذه

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج ٢١، ص٢٢، اعلام الورى بأعلام الهدى ، الشيخ الطبرسي، ج ١، ص٢٠٩.

الرواية ترد على كل المداليل المسيئة لرسول الله ﷺ، فقولهم أن حروبه ما هي إلا نسخة عن حروب الجاهلية قول باطل، إذ لم يعرف عن رسول الله أنه جمح في حروبه واسرف في القتل، بل كان يمنع أصحابه من الإجهاز على الجرحى وتعقب المدبرين وقتل العُزّل والنساء والأطفال والحيوانات وقطع الأشجار، ولم يكن ليحارب من أجل الحرب، بل كانت كل حروبه دفاعية بحته، دفاعاً عن بيضة الإسلام وكيان المسلمين، ولم يغزو إلا مكامن الشر وبؤر التآمر على الإسلام، وأما قولهم إنّ رسول الله يفتعل الحروب والغزوات ليتسنى له استرقاق وسبي النساء ليختار ما يشاء منها لنفسه، ولو كان هذا الادعاء صحيحاً لرأينا الكثير من نسائه التي تزوجهن هن من نساء السبي، في حين أن رسول الله لم يتزوج من السبي إلا صفية وجويرية من بني المصطلق، ولو أنّ همه النساء لتزوج البواكر الحسان الجميلات من قريش وقبائل العرب وهو قادر على ذلك.

أما قولهم منزوع الرحمة مجرد عن العاطفة، فالرواية الصحيحة ترد على هذه الكذبة المضحكة، ألا ترى كيف وبّخ بلال وعاتبه على مروره بالنساء على القتلى قائلاً له (أنزعت منك الرحمة يا بلال!)، وقولهم يعرس بها وهي امرأة مفجوعة بأهلها، أول الأمر في الرواية أنه اصطفاها بمعنى قربها منه بالتودد وحسن المعاملة مخيراً إياها قائلاً (إن أقمتِ على دينك لم أكرهك وإن اخترتِ الله ورسوله اتخذتك لنفسي. قالت: بل أختار الله ورسوله. فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها مهرها)، فزواجه منها لم يكن تحت التهديد والإكراه، ليكون أقرب إلى السفاح منه إلى النكاح كما سولت لهم أنفسهم وصف هذا الزواج، ولا ناقض رسول الله وخالف أحكام الله القاضية بأن الزواج يجب أن يكون بالرضى والقبول، فهاهي تختار الله ورسوله، وقد أحبت رسول الله ﷺ بصدق وإخلاص، لما رأت منه عظيم الأخلاق وحسن المعاملة، بل أنها اشتاقت واستهوت قرب رسول الله ﷺ قبل أن تراه، فقد جاء في سيرة ابن إسحاق (أن صفية رأت قبل ذلك أن قمراً وقع في حجرها فذكرت ذلك لأبيها فضرب وجهها ضربة أثرت فيه، وقال: إنك لتمدين عنقك أن تكوني عند ملك العرب! فلم يزل الأثر في وجهها حتى أتى بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عنه فأخبرته خبره)[٢].وقد شهد لها رسول الله بحسن إسلامها، ولولا صدق إيمانها وصدق نيتها وحبها لله ورسوله، ما تفدّت رسول الله بنفسها في مرضه الأخير، فقد جاء عن حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، وَهِشَامُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ مِنْهُ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نِسَاؤُهُ، فَقَالَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ: أَمَا وَاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ الَّذِي بِكَ بِي، فَتَغَامَزْنَهَا أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ فَأَبْصَرَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (مَضْمِضْنَ)، قُلْنَ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (مِنْ تَغَامُزِكُنَّ بِصَاحِبَتِكُنَّ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهَا صَادِقَةٌ))[٣].

وماذا بعد يا جماعة السوء، ألا يكفي أن الله فضح أكذوبتكم على رسول الله ﷺ، وأبان عجزكم ومن كان قبلكم وأذاقكم مرارة الحسرة من النيل من شأنه والحط من مكانته، (فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا)[٤]، ألا ترعوون ألا تنتهون ألا تعلمون أن الله يبطل كيد الظالمين، بئس للظالمين بدلاً.

(٢) سيرة ابن إسحاق، ج٥، ص٢٤٦.
(٣) الجامع في الحديث، عبد الله بن وهب المصري، ص٦٥٥.
(٤) سورة مريم، الآية: ٧٥.

يوم الغدير

صورة منعكسة عن يوم الميثاق

سمير جميل الربيعي

إنّ ما وراء الفهم والإدراك حقائق قد تبدو ضرباً من الخيال أو هي إيقاعات الوهم، مع كونها أثبت من الواقع، وهي خطيرة لأنها تحتاج إلى سعة في الاستغراق مع فطنة وجذوة من الحس والحدس وارتفاع منسوب الإيمان والتسليم المطلق، شريطة أن تعمل كلها كمنظومة تحت هيمنة الفطرة السليمة، ومن دون ذلك لا يؤمن وقوع النفس في شرك النفاق وفساد العقيدة والمعتقد، فليس من السهل على الإنسان اللصيق بالطين المتثاقل إلى الأرض، أن يصدق شيئاً خلق خارج حدود حسه وحواسه، وهذه صفة كثير ممن رفضوا الأحداث والأحاديث التي تعدت نطاق ما تقوقعوا فيه، لاسيما في حدث (أخذ الميثاق) وانعكاس هذا الحدث السماوي على الأرض على هيئة حادثة يوم الغدير، فكان له وجهان وجه في السماء ووجه في الأرض.

إنّ حديث الميثاق وعلاقته بحادثة الغدير، لم يلق قبولاً خصوصاً من أولئك الذين امتنعت عقولهم عن جمع الصورتين في مادة واحدة، وهي أخذ البيعة لعلي عليه السلام، وما كان أهون عليهم إلّا أن وصفوه، بأنه حديث خرافة ليس في متناول التصديق، وما اختلقه مختلقه إلا ليثير حوله وحول ابن عمه هالة الإثارة والاهتمام، ألا يكفي محمداً أن أخذ البيعة لعلي في غدير خم، حتى يدعي أن هذه البيعة قد تمت من قبل في السماء، حين أخذ الله الميثاق من النبيين ومن الخلق أجمعين، ولنا الحق في الرد على اتهاماتهم بما سوف نورده من أدلة مدعومة ومؤيدة بشواهد قرآنية وأحاديث نبوية وأقوال الأئمة عليهم السلام.

قد يرى البعض ممن اطلع على الأحداث التاريخية، بأن حادثة غدير خم هي حدث افتعله رسول الله صلى الله عليه وآله، وسبب أسبابه لأمر في نفسه يريد به رفع خشاشة ابن عمه ووضعه على رؤوس الناس بتوليته الخلافة من بعده، وهذا رأي من اشرأب النفاق والحسد في نفسه فأعماه عن رؤية الحق والحقيقة، وكأنّ لسان حاله يقول ما قاله النضر بن الحارث الفهري ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، ومثل هذا ورأيه لا يستحق أن يلتفت إليه، ولعل الله يعجل عليه كما عجل على صاحبه بالأمس ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾[2].

وقد يرى البعض الآخر أنه بأمر من الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[3]، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله، مأمور بتنصيب أمير المؤمنين عليه السلام، ولياً وإماماً وخليفة على المسلمين من بعده، حرزاً للأمة من أن تخوض غمار الفرقة من بعده، وبياناً للناس في استحقاقه لهذا المنصب، ولكنهم لا يذهبون إلى أبعد من ذلك، فهم لا يرون أن ليوم غدير خم مثلاً في السماء يتمثل بيوم الميثاق، وهذا الرأي وإن كان بعضه لا يخلو من الصحة، لكنه لم يورد تمام الحقيقة في توصيف هذا الحدث الجلل، ففهمهم لما جرى في ذلك اليوم لا يتخطى حدود الحواس، إذ عقولهم تبع حواسهم، لذا انصاعت لها وسلمت على أنه حدث أرضي آني، اقتضته مصلحة إدارة الدولة، واوجبته دواعي الخلافة، ولم يعلموا أن ما جرى على أرض غدير خم ما هو إلا انعكاس لما جرى في الملكوت الأعلى، وفرد من مصاديق ما جرى هناك، فقد أخذت البيعة والإقرار لأمير المؤمنين من جميع الأنبياء في الملأ الأعلى من قبل أن يخلق الله آدم وينزله إلى الأرض، بل أن الله لم يخلق آدم وذريته إلا بإقرارهم لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وولاية علي عليه السلام من بعده، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[4] وجاء

(١) سورة الانفال، الآية: ٣٢.
(٢) سورة المعارج، الآيتان: ١ -٢.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

في الحديث الشريف: (والذي نفسي بيده، ما استوجب آدم أن يخلقه الله وينفخ فيه من روحه وأن يتوب عليه ويرده إلى جنته إلا بنبوتي والولاية لعلي بعدي).[٥] ولا استأهل الخلق أن يخلقه الله ويفيض عليه الوجود إلا بالعبودية لله وبالإقرار بنبوة رسول الله ﷺ، وولاية أمير المؤمنين عليه السلام، قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده، ما تنبأ نبي قط إلا بمعرفته والإقرار لنا بالولاية، ولا استأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية له والإقرار لعلي بعدي)[٦].فيتبين من هذا الحديث علة خلق الخلق وإثبات أن جميع الأنبياء بما فيهم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ما نالوا شرف الاصطفاء للنبوة إلا بإقرارهم بنبوة محمد ﷺ وبولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[٧]، وعنه ﷺ: (ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثلوا له فأقروا بطاعتهم وولايتهم)[٨]، بل أن رسول الله ﷺ نفسه مأمور من قبل الله بحب علي بن أبي طالب وولايته، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا إنّ جبرئيل أتاني فقال يا محمد ربك يأمرك بحب علي بن أبي طالب ويأمرك بولايته)[٩].

وهنا المحك الحقيقي لفرز النفوس المؤمنة المفعمة بالإيمان والتي لا تزعزعها الشبهات ولا تُزَاورها عن يقينها المحدثات، ولو زالت الجبال عن مراسيها، عن تلك النفوس المضطربة المترهلة بالشك والريبة، الورمة أحشاؤها باللؤم والنفاق، التي يثقل كاهلها مثل هذا القول، إذ لم تسلم ولا تسلم ما دامت غير شفيفة مكدرة بسوء الظن وخبث السريرة، وقد أبدى أصحابها اعتراضهم في كل مناسبة يجدونها سانحة من أجل توهين هذه الحقيقة، قائلين إنّ زعمكم بأن الله لم ينبأ الأنبياء ولم يستأهل أن يخلق الخلق إلا بمعرفة ولاية علي بن أبي طالب زعمٌ باطل. فمن أين عرفت الأنبياء والخلق علي بن أبي طالب وولايته، وهو بعد لم يكن إلا شبح من الأشباح الخمسة تطوف وتسبح حول العرش كما تقولون!؟ ومن أين حصل على هذه المكانة وهو بعد لم يصدر منه أي قول أو فعل ولم يأتِ بعمل يستحق به ما استحق، أليس هذا من الظلم، أليس هذا ترجيح من غير مرجح!؟ ثم إنكم تقولون إن الله عرض ولايته على الخلق فمن قبلها كُتِبَ من السعداء ومن أعرض عنها كُتِبَ من الأشقياء ولم يستأهل أن يخلقه الله أو ينظر إليه، فكيف ونحن نجد الكثير ممن لم يقبلوا ولاية علي بن أبي طالب موجودين بين ظهرانينا في أحسن حال في هذه الحياة! ومعنى هذا أن أمامنا احتمالان ليس لهما ثالث، إما إنّ الله قد تراجع وأخلف وعده (حاشاه) في عدم خلق من لا يقبل ولاية علي والنظر إليه، أو إنكم كاذبون فيما ادعيتم.

وقبل الرد على هذه الشبهة، لا بدّ من الرد على كل ما طرحوه من شبهات، فأما قولهم من أين عرفت الأنبياء والخلق علي بن أبي طالب، وهو لم يزل شبحاً من الأشباح الخمسة، قلنا إن الله سبحانه وتعالى لا يوجب على خلقه امتثال أمر ما مالم يُعرِّفهم به، فمثلاً في قضية السجود لآدم، نجد أنّ الله لم يأمر الملائكة بالسجود لآدم إلّا بعد أن عرّفهم حقيقته، وما كان ليأمرهم بالسجود له وهم به جاهلون، فقبيح على الله أن يأمر خلقه بشيء هم يجهلونه.

أما قولهم من أين حصل على هذه المكانة قبل أن تصدر منه بادرة يستحق بها هذه المنزلة، قلنا إنّ الله سبحانه وتعالى مطلع على الغيب، وكل الأفعال والأعمال المستقبلية حاضرة عنده بمنزلة الماضي لا يغيب عنه شيء، ولتوضيح الفكرة أكثر، إننا نرى في كثير من الآيات القرآنية حينما تتكلم عن أمر مستقبلي تتكلم عنه بصيغة الماضي كقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾[١٠]، رغم أن هذا الحدث حدث مستقبلي لم يتحقق عندنا ولم نشهده بعد لأنه لا يقوم إلا عند قيام الساعة، لكنه عند الله متحقق فكل الأفعال والأحداث حاضرة متحققة عنده، إذن فأفعال ومآثر وبطولات وتضحيات علي عليه السلام حاضرة عنده ويعلمها ومطلع عليها، لأن الله سبحانه وتعالى لا تجري عليه قوانين الزمان، فلا ماضي ولا مستقبل فكل شيء حاضر عنده وهو به محيط، من هنا نفهم عملية اصطفائه لأمير المؤمنين عليه السلام، وكيف يصطفي الله الأنبياء والمرسلين والأوصياء، ثم إنّ الله يثبت استحقاقهم للاصطفاء من خلال تعريضهم لأشد الابتلاءات والاختبارات؛ ليري الخلق حقيقة اختياره، وليحج بذلك كل أولئك الذين يعتقدون بأن الله قد اختار الأنبياء والأولياء وبالذات أمير المؤمنين عليه السلام اختياراً عفوياً من دون بادرة منهم ترجحهم على غيرهم من الخلق ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[١١].

أما ما اشتبه عليهم في أن كثيراً ممن يرفضون ولاية علي عليه السلام موجودون في هذه الحياة ويتنعمون بها، رغم أن الله آلا على نفسه أن لا يكترث ولا يوجه للخلق نظر عناية إلا بالعبودية له والإقرار لعلي بعد رسول الله ﷺ، بحسب هذا الحديث النبوي (...ولا استأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية له والإقرار لعلي بعدي) واحتملوا بذلك أن الله قد تراجع عن وعده، أو أن ما ندعيه هو كذب وباطل، والقول في ذلك لا يحتاج إلى شدة عناء وتكلف في الحجة، فالله سبحانه وتعالى رحيم بخلقه رؤوف بهم، يلتمس لهم النجاة مما هم فيه، فيمنحهم فرصة أخرى، لعلهم يرجعون عن غيهم وعنتهم في هذه الحياة الدنيا، كما منح بني إسرائيل أكثر من فرصة رغم تماديهم بالتمرد والعصيان وقتلهم للنبيين بغير حق، ورغم علم الله سبحانه وتعالى بأنهم لا يرجعون عن غيهم ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[١٢]، وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: (لا تخاصموا الناس، فإنّ الناس لو استطاعوا أن يحبّونا لأحبّونا، إنّ اللّه أخذ ميثاق شيعتنا يوم أخذ ميثاق النبيّن، فلا يزيد فيهم أحداً أبداً، ولا ينقص منهم أحد أبداً)[١٣]. لكنه يمنحهم الفرصة تلو الفرصة حتى لا تكون لهم على الله حجة ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾[١٤]، فيدَّعون أنهم لم يمنحوا فرصة العودة والرجوع، ثم إنّ الله يمنح عباده الرفاهية في العيش والسعة في الرزق، لا لأجل طاعتهم وقربهم منه، بل لعله في بعض الأحيان يوسع في الرزق للكافر العاصي ليكيده ويستدرجه إلى مهلكه ومن ورائه عذاب أليم، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[١٥]

نكتفي بهذا الرد المتواضع والله من وراء القصد.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤٠، ص٩٦.
(٦) كتاب سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس الهلالي، ج٢، ص ٨٥٩.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٨١.
(٨) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن فروخ، ص ٩٣.
(٩) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٣٩، ص٢٧٣، بصائر الدرجات، محمد بن الحسن فروخ، ص ٩٤.
(١٠) سورة الزمر، الآية: ٦٨.
(١١) سورة الانعام، الآية: ١٢٤.
(١٢) سورة الأنعام، الآية: ٢٨.
(١٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٢، ص١٣٤(كتاب العلم، باب النهي عن القول بغير علم والإفتاء بالرأي وبيان شرائطه، ح ٢٩).
(١٤) سورة النساء، الآية: ١٦٥.
(١٥) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

قارئ بأنفاس ختامها مسك

الخادم المتطوع محمد علوان الربيعي

> لقراءة القرآن نور في القلوب، وترويح للنفوس، وجلاء للذنوب، وكشف للكروب، فهي روح وريحان وجنة نعيم، وتقرّب من العليم الحكيم. وحديث مع الخالق العظيم، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (إذا أحب أحدكم أن يحدّث ربه فليقرأ القرآن).
>
> ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري، ج٣، ص٢٥٢٤.

اهتمت العتبة الكاظمية المقدسة بالقرآن الكريم، وأفردت مركزاً خاصاً اسمه (مركز القرآن الكريم) والذي يهتم بأحكام التلاوة والنغم، فقد خرّج هذا المركز الكثير من القرّاء الذين أصبحوا أسماء لامعة مهمة تباري غيرها بقوة في المسابقات والمحافل، وهذا بفضل أساتذة أكفاء من خدمة الإمامين الجوادين عليهما السلام ومنهم الخادم المتطوّع القارئ الأستاذ محمد علوان الربيعي الربيعاوي. والذي كان لأسرة مجلة (ق والقرآن المجيد) فرصة اللقاء به والتحدّث معه حول مسيرته القرآنية، حيث أجابنا قائلًا:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين. السلام على الإمامين الجوادين عليهما السلام ورحمة الله وبركاته.

دخلت المجال القرآني سنة ٢٠١٢م، وذلك عندما افتتح معهد القرآن الكريم التابع للعتبة العباسية المقدسة فرعاً له في مدينة الحرية، وكنت اتذكر أول دورة كانت في كيفية أداء الأذان والإقامة، والحمد لله حصلت على المركز الأول. بعد ذلك كانت هنالك دورة في أحكام التلاوة والنغم في الوقت نفسه، وكان أستاذي في تلك الفترة وصاحب الفضل الكبير القارئ (أحمد سهر)، دخلت هذه الدورة والتي استمرت مدة سنتين برواية (حفص عن عاصم)، وحصلت فيها على الإجازة، وحصلت في أحكام التلاوة وتدريس الأنغام، وكنت والحمد لله من المتميزين في هذه الدورة، كانت هذه أولى خطواتي في المسيرة القرآنية. وحالياً أتشرف بالخدمة التطوّعية في العتبة الكاظمية المقدسة ضمن مجموعة من المتطوّعين في هذا المجال، ومن خلال مسيرتي القرآنية وجّهت العتبة دعوة للتدريس في مادة النغم على الطريقة العراقية، والحمد لله أنا الآن أحد الأساتذة في مركز القرآن الكريم، واشارك في إقامة الدورات التي تقام في مركز القرآن الكريم مستمرة بواقع يومين من كل أسبوع بعد صلاتين المغرب والعشاء.

احببت وتخصّصت في الطريقة العراقية لكثرة السماع والتأثر بالمدارس العراقية القديمة، ومن ضمنها مدرسة الشيخ الحافظ خليل اسماعيل رحمه الله فكُنت منذ الصغر مستمعاً جيداً للمدرسة العراقية بشكل عام، ولكن مدرسة الحافظ خليل كانت هي المتميزة والتي تحتوي على بستان كبير من الأنغام العذبة، وهي المدرسة التي يعتمد عليها القرّاء في القراءات العراقية، وأحببت هذه الطريقة وهي الأقرب إلى نفسي. والطريقة العراقية هي الأقرب إلى الواقع العراقي والبيئة العراقية، وتحمل في طياتها جانباً من الحزن وتحاكي واقعه؛ لذلك فهي مؤثرة جداً وتبقى مدرسة عريقة يفتخر بها القرّاء العراقيين.

عندما تخرجت من دورة الأحكام والأنغام التطويرية في مجال النغم عند الأستاذ حيدر الكاظمي في العتبة الكاظمية المقدسة، والتي استمرت من ستة إلى أ سبعة أشهر، دخلت بعدها دورات تحقيقية في مجال القرآن الكريم، وهكذا بدأت التدرج في المستوى القرآني.

أما بخصوص مشاركاتي في المحافل القرآنية التي طوّرت من قابليتي، فهي مهمة جداً، وأتذكر أول محفل قرآني اشتركت فيه على مستوىً عالٍ هو على مستوى المحافظة، كان في العتبة الكاظمية المقدسة، فكان الخطوة الأولى للإبداع، أما بالنسبة للنغم بالطريقة العراقية والمصرية، هنالك فرق في مسألة النغم كما يعلم جميع القرّاء، المدرسة العراقية تحتوي على المقامات الرئيسة السبع ومن ضمنها الفروع، وكذلك الأطوار والمقامات البغدادية واللون الجنوبي، واللون الشمالي، واللون الغربي، واللون البغدادي، تقريباً هذه الألوان تحتوي على ٨٠ نغماً تقريباً، والمقامات البغدادية هي الأقرب إليّ، وهي متداولة كثيراً.

وشملت مشاركاتي في المحافل المحلية عدداً من النشاطات، الكثير منها كان منها في العتبات المقدسة، وإن شاء الله تكون لي مشاركة في العتبة العلوية. كما شاركت في محافل في جمهورية إيران الإسلامية للتعريف بالطريقة العراقية. وحصلت على المركز الأول في المسابقة في سنه ٢٠١٩م، وحصلت على الشهادات التقديرية في كثير من الدورات والمحافل، كما حصلت على تكريم وشهادات تقديرية من العتبة الكاظمية المقدسة.

ختاماً، ومن خلالكم، أقدم شكري للعتبة الكاظمية المقدسة لما قدّمته لي من رعاية وتشجيع على قراءة القرآن، وشكري وامتناني للأساتذة الذين وقفوا إلى جانبي ودعموني، هذا والحمد لله ربّ العالمين وصلى على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

هبوط اضطراري

رحلة مميزة مع تجارة رابحة وصفقة جديدة، بعد فترات عصيبة ومحاولات مريرة ستحقق أحلاماً قديمة، وستغير أحوالاً عديدة، وستسدد ديوناً متراكمة، وستحصد أموالاً كثيرة، عندئذ سنحظى بحياة سعيدة وأياماً هانئة.

زينب حسين

جلست متلهفاً في المطار منتظراً موعد إقلاع الطائرة الذي صار قريباً، لأنطلق كالصاروخ ملتحقاً بها، وطار قلبي فرحاً لما طارت في الجو محلقة عالياً في السماء، يا لها من لحظات مميزة وجميلة.

بدأت أعد الدقائق متشوقاً للوصول لكن الساعة توقفت هنا عندما أعلن قائد الطائرة بحصول عطل فيها وهذا ما جعله يقرر الهبوط الاضطراري في الدولة المجاورة والنزول في إحدى مطاراتها، فانزعجت كثيراً وقلت في نفسي: السعادة لا تكتمل دائماً.

وأثناء الهبوط رأيت سيلاً من البشر يسيرون في الطريق، لا أدري ربما هنالك تظاهرة أو احتفال أو ما شابه ذلك، وحينما هبطت الطائرة هبطت معها كل معنوياتي لأن التأخير ليس بصالحي وربما سأخسر الصفقة، يا ويلي، من أين جاء هذا العطل؟

جلست في قاعة الانتظار في المطار وبالي مشوش وعيناي تحدقان عبر النافذة وتراقبان هبوط الطائرات وقلوعها، إنّه منظر عجيب! والأعجب منه هؤلاء المسافرون الذين ما إن تطأ أرجلهم أرض المطار حتى يتهافتوا بالسجود عليها وتقبيل تربتها مع أنها ليست أرضهم ولا ينتمون لهذه الدولة ويبدو أنهم من جنسيات مختلفة، راقبتهم ملياً ولا أجد في عقلي جواباً مقنعاً لفعلهم هذا.

وبينما كنت مستغرقاً بالمراقبة وإذا بأحد المسافرين أظنه من الدول الآسيوية قد بالغ في البكاء والنحيب وهو يحذو التراب على رأسه ووجهه حتى أغشي عليه، فأسرع بقية المسافرين بجلبه إلى القاعة، وما إن أفاق حتى عاد للبكاء مرة ثانية رافعاً يديه إلى السماء، فانتابني الفضول، وسألت رفيقه الذي كان يتكلم باللغة العربية ما بال هذا المسافر؟ وما سبب بكائه؟ هل يشكو من شيء؟ أم تعرض للسرقة؟

فأجابني: إنه سعيد جداً لوصوله إلى هنا وهذه دموع الفرح، فقلت له باستغراب: أنا لا أفهم شيئاً. فقال وهو يبتسم: لقد حظي هذا الزائر بجائزة عظيمة، وكل فرد من أهل قريته الفقراء يتمنى أن يكون هو الرابح في كل عام، فهم يدخرون المال لمدة سنة كاملة ويجرون قرعة لشخص واحد كي يتبرعوا له بهذه الأموال من أجل أن تكفيه في سفرته هذه، فوقعت القرعة عليه وفاز بها، ليأتي إلى هنا ويزور المراقد المقدسة نيابة عنهم ويدعو لهم، وعندما سيرجع سيصبح عزيزاً ومحترماً عندهم.

لم تصدق أذني ما سمعت وكأنّه ضربٌ من الخيال أو قصة خرافية، وفي هذه الأثناء انقطع حديثنا عندما جاء النداء بأن الطائرة ستقلع بعد يومين بسبب العطل الذي أصابها، فندبت حظي وانزعجت كثيراً، ماذا أفعل الآن؟ وما مصير الصفقة وموعدها الذي ذهب أدراج الرياح؟ سأحاول الاتصال بهم عسى أن يتفهموا الأمر ويعطوني موعداً جديداً.

أسرعت بالخروج من المطار، وركبت سيارة أجرة للبحث عن فندق قريب، وإذا بي أرى الشوارع مزدحمة بالناس، واستغربت لرؤيتي تلك السرادق التي نصبت على جانبي الطريق وهم يوزعون الأكل والشرب بكميات وفيرة، ومن نافذة السيارة قدموا لي الطعام ومن دون مقابل! وعندما أردت النزول من السيارة فاجأني السائق بإعفائي من الأجرة، وقال لي: أنتم ضيوفنا ونحن لا نأخذ أجرة من الزائرين!، ذهلت من هذه المواقف فهل أنا حقاً في بلاد العجائب؟

دخلت إلى الفندق وحاولت الاتصال بأصحاب الشركة لكن يبدو أن الشبكة ضعيفة هنا، فزاداد اضطرابي وقلقي وخرجت من الغرفة لاستعلم من موظف الخدمة عن أقرب مكان لبيع بطاقات التعبئة، وأسرعت لشرائها ولكنني بسبب قلقي وقلة انتباهي أوقعت طفلاً على الأرض وتسببت في جرح ساقه، فحملته وركضت به، وإذا بالناس قد أرشدوني إلى أحد السرادق الموجودة على الطريق وقد كتب عليه (مفرزة طبية)، فضمدوا جرحه وأعطوه العلاج بالمجان، فقلت في نفسي: تلك السرادق لم تخلو حتى من الدواء يا للعجب!

بعد أن اطمأنت على حالة الصبي، قلت له: ما اسمك وكم عمرك؟ فأجابني قائلاً: اسمي حسين وعمري ١٠ سنوات، قلت له: وأين تسكن لكي أوصلك إلى أهلك؟ فرّد عليّ بابتسامة: لقد قطعت مسافة بعيدة عن داري، فسألته: ولماذا تسير وحدك ألا تخاف؟ وإلى أين أنت ذاهب؟

قال لي وبكل ثقة: إنني أسير في كل عام في هذا الطريق، وقد جئت ١١ مرة، فحفظته جيداً، وأريد الوصول إلى محافظة كربلاء التي تبعد مئات الكيلومترات من هنا.

ضحكت وقلت له: عمرك ١٠ سنوات! فكيف سرت ١١ مرة؟ فقال: في السنة الأولى سارت أمي وهي حامل بي، وكنت أسير برفقتها ٩ سنوات، وفي هذه السنة توفت والدتي فأصبحت يتيم الأبوين، وعزمت المسير وحدي نيابة عنهما وإن شاء الله سأصل وأزور مولاي الحسين عليه السلام متأسياً بهما.

ذهلت من كلامه وقلت في نفسي: عجباً لهذا الحب وهذا الولاء الذي يُغرس منذ الصغر، فقلت له: هل تخبرني من هذا الذي يزوره ويقصده الناس من كل الجنسيات ومن كل الفئات سيراً على الأقدام ولمسافات طويلة؟ وهل يستحق كل هذه التضحيات؟

فأخذ يحدثني عن تلك الشخصية التاريخية وعن قصته المؤلمة المؤثرة وعن تضحياته العظيمة، وبقينا نسير سوية مسافة طويلة، ونسيت نفسي بين تلك الجموع السائرة وبين تلك السرادق التي تزخر بالعطاء حتى استوقفتني إحدى تلك السرادق التي كانت تعود لنفس طائفتي، فصدمت وتعجبت وقلت: عجباً حتى المسيحيون حضروا إلى هنا؟

وبقيت أتحدث معهم واستفسر عن سبب تواجدهم هنا فأخبروني عن الزائر وكرامته وعن خدمة الزائرين وعظمتها وعن أشياء كثيرة لم أسمع بها من قبل، وقمت ولأول مرة بتوزيع الطعام لأساعدهم حينها أحسست بشعور غريب وجاذبية لم أعهدها من قبل تدعوني إلى مواصلة السير مع صديقي الصبي (حسين)، إنها القوة ذاتها التي جذبت الطائرة واضطرتها للهبوط على تلك الأرض العجيبة، حتى جاءتني رسالة من الشركة كتب فيها: (لقد ألغيت الصفقة بسبب عدم الالتزام بالمواعيد).

فلم آبه لها ولم أنزعج بتاتاً لخسارتي للصفقة ولا لضياع أحلامي لأنني ربحت صفقة أكبر، ووقعت عيني على تجارة أعظم ربحاً، وهُدِي قلبي إلى طريقٍ أقوم.

قال تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

ملاحظة: قصة الزائر الباكستاني وقصة الصبي حقيقيتان من الواقع.

كظم الغيظ

صفة نفسانية تعتمد على ترويض النفس وتهذيبها عبر سلسلة من الرياضات الروحية، وإبعادها عن الشهوانية، والغضب، والعصبية المفرطة التي تحول الإنسان إلى كائن فاقد السيطرة على تصرفاته. لذا أنت ترى أنّ أكثر ما يقترفه الإنسان من جرائم وأخطاء تحصل بسبب فقدان السيطرة على التصرفات ورضوخه لسلطة النفس الأمارة بالسوء وسلبية الإشباع الغريزي. ولهذا، باتت صفة (كظم الغيظ) من الصفات المحمودة التي جاء ذكرها في القرآن يصف المؤمنين بها. قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.[1] ويبين الإمام الصادق عليه السلام أجر الإنسان الذي يكظم غيظه، إذ يقول: (ما من عبد كظم غيظاً إلّا زاده الله تعالى عزّاً في الدنيا والآخرة، وقد قال الله تعالى: «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبّ المحسنين» وأثابه الله مكان غيظه ذلك).[2]

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.
(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص١١٠.

لطائف قرآنية

واو الثمانية: هنالك آياتٌ في القرآن ذكرت أشياء معدودات بدون عطف ثم تذكر معطوفاً أخر وتعطفه على ما سبق بحرف (الواو)، وهذه الواو أطلق عليها (واو الثمانية): وهي تأتي بعد ذكر سبعة أشياء مذكورة على نسق واحد من غير عطف، ثم يؤتى بالثامن مقروناً بالواو، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. تقدّمُ هذه الآية تسع صفاتٍ للذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله تعالى. ونلاحظ أن (واو الثمانية) دخلت على الصفة الثامنة (الناهون عن المنكر)، ونلاحظ أيضاً أن الصفة الثامنة مغايرة للصفة السابعة، لأنّ النهي عن المنكر غير الأمر بالمعروف.

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

ومن الأمثلة على (واو الثمانية) قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[2]، فجاءت (فتحت أبوابها) بدون اقتران الواو كون أبواب النار سبعة. بينما قال تعالى عن دخول المتقين الجنة: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[3]، وجاءت (وفتحت أبوابها) واقترنت بالواو لأنّ أبواب الجنة ثمانية[4].

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧١.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٧٣.
(٤) النكت في القرآن الكريم في معاني القرآن الكريم واعرابه، أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي، ص٥٠.

الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي

الفارق هو أنّ القرآن نزل وحياً من عند الله تعالى على نبيه المصطفى محمد ﷺ بواسطة جبرائيل عليه السلام باللفظ والمعنى، وكان المطلوب من الرسول الأعظم ﷺ أن يبلغه إلى الناس باللفظ والمعنى نفسيهما كما نزل من عند الله تعالى، وأن يحافظ عليه بالنص، وتلك هي معجزة القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[1]

أما الحديث القدسي، فهو منزل كذلك من عند الله تعالى على نبيه المصطفى محمد ﷺ بواسطة جبرائيل عليه السلام بالإلهام أحياناً، أو الرؤيا أحياناً أخرى، ويكون نزوله بالمعنى فقط دون اللفظ، والمطلوب من الرسول ﷺ أن يبلغ معانيه إلى الناس ولكن بالألفاظ والصياغة النبوية، ويكون بمنزلة الحديث النبوي، وليس فيه معجزة الحفظ وعدم التحريف. بل يخضع للتحقيق والتدقيق الروائي لتمحيصه وتمييز الصحيح والمعتبر منه عن غير الصحيح.[2]

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٢) الحديث في علوم القرآن والحديث، الشيخ حسن أيوب، ص١٧٥.

فوائد قرآنية

كلام من هذا؟

قال الأصمعي: كنت أقرأ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ غفور رحيم﴾ وبجنبي أعرابي، فقال لي: كلام من هذا؟ فقلت: كلام الله تعالى. قال: أعد. فأعدتُ. فقال: ليس هذا كلام الله تعالى. فانتبهت، فقرأت: والله عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فقال: أصبت، هذا كلام الله تعالى. فقلت أتقرأ القرآن؟ قال: لا. فقلت: من أين علمت؟ قال: يا هذا، عزّ فحكم فقطع. ولو غفر ورحم لما قطع.

أهمية صلاة الفجر جماعة

﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾: يقول أحد أعداء الإسلام من اليهود: طالما أنّ أغلب المسلمين لا ينهضون لصلاة الفجر جماعة فلا تخشوهم.

هل تعلم

يطلق على سورة الملك (السورة المانعة)، وسميت بالمانعة لأنها تمنع عذاب القبر عمن يقرأها.

ذكر القرآن الكريم أنّ الصبح هو الشيء الوحيد الذي تنفّس من دون روح. قال الله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾.[1]

(١) سورة التكوير، الآية: ١٨.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

بمزيد من الحزن والأسى وبقلوب يعتصرها الألم

تنعى الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

المجاهد الكبير سيد المقاومة اللبنانية الشريفة حجة الإسلام والمسلمين

سماحة السيد حسن نصر الله قدس سره

وبهذه الفاجعة الأليمة نتقدم بأصدق التعازي والمواساة إلى الشعب اللبناني الكريم المجاهد وإلى كل المقاومين والمجاهدين الأبطال.. سائلين العلي القدير أن يتغمد فقيد الجهاد والمقاومة وجميع الشهداء برحمته الواسعة ويحشرهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.. وأن يلهم أهلهم وذويهم ومحبيهم الصبر والسلوان إنه سميع مجيب